النماذج البشرية في شعر عبد الحميد السنوسي

الرؤية والتشكيل الفني

إعداد الدكتور:

عيسى محمد إبراهيم عفيفي

مدرس الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنين بالقاهرة ـ جامعــة الأزهر الشريف

البريد الإلكتروني: issaafifi.4@azhar.edu.eg

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

ملخـــــص

تتناول هذه الدراسة موضوع النماذج البشرية لدى واحد من الشعراء العرب الكبار الذين عاشوا بمصر في العصر الحديث، هو الشاعر عبد الحميد السنوسي(١٨٩٨/ ١٩٥٦م) وذلك من حيث الرؤية الموضوعية والأداة الفنية لأهم النماذج التي استمدها من جوانب الحياة الإنسانية المختلفة، وقد قامت هذه الدراسة في الأساس على المنهج الفني التحليلي لأهم القصائد والمقطوعات الشعرية التي تمثل هذا الموضوع في الديوان، كما تستعين أيضًا ببعض المناهج النقدية الأخرى عند الحاجة إليها.

الكلمات المفتاحية: السنوسي – التشكيل الفني – الشعر – القصائد – ديوان– النماذج البشرية .

The Human Models in Abdul-Hamid Al-Senoussi's Poetry; The Vision and Artistic Formulation

By: Eissa Mohammed Ibrahim Afifi
Assistant professor of Literature and Criticism
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Cairo
Azhar University
E.MAIL: **issaafifi.4@azhar.edu.eg**

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

Abstract

This research handles the topic of human models in the poetry of one of the greatest poets who lived in Egypt in the modern age; Abdul-Hamid Al-Senoussi (1898- 1956). The research sheds light upon the objective vision and the artistic tool of an important model derived from different aspects of human life. The research applies the artistic analytical approach so as to analyze the most important poems and stanzas which represent this subject in Al-Senoussi's volume of poetry. The research has also resorted to other critical approaches when necessary.

Key words: Al-Senoussi, artistic formulation, poetry, poems, volume of poetry, human models.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصبحه والتابعين.

أما بعد ،،

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فإن شعر النماذج البشرية لدى عبد الحميد السنوسي الشاعر المصري المعاصر الذي عاش أكثر حياته في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي " ١٨٩٨/ ١٩٥٦م " يعد من أهم التجارب الشعرية عنده، ومن أبرزها في أدبنا العربي الحديث ؛ ذلك أن صاحبه اختار النماذج بعناية شديدة، وركز في مصدرها على جوانب حياتية مهمة هي الجانب الاجتماعي والديني والتاريخي، ثم إنه صاغها صياغة فنية راقية في كثير من القصائد والمقطوعات الشعرية الغنائية المبثوثة في ديوانه العام، والذي جمعه وحققه وقدم له الأستاذ/ محمد مفيد الشوباشي والأستاذ/ مصطفى عبد اللطيف السحرتي، ثم نشرته وزارة الثقافة عام ١٩٦٤م.

وعلى الرغم من ذلك لم يقم أحد – في حدود ما أعلم – بتخصيص دراسة أدبية له؛ ومن ثم قمت باختياره مادة للبحث والدراسة والله الموفق، أما عن الدوافع الأخرى لهذا الموضوع فتتمثل فيما يلي:

* المشاركة في الدراسات الأدبية والنقدية التي تتناول هذا الغرض الشعري لإظهار ما به من الأخلاقيات والمثل الإنسانية المتعددة وبيان أهم شخصياتها وتشكيلاتها الفنية في أدبنا العربي الحديث.

* لفت الأنظار وتوجيه الدارسين المبتدئين إلى مثل هذا النوع من الشعر عند بعض أعلامنا من الشعراء الآخرين الذين برعوا في شعر النماذج مثل معروف الرصافي وعلي الجارم والعقاد وعبد الرحمن شكري وإيليا أبو ماضي وغيرهم؛ وذلك لدراسته وتقديم نماذجه.

* إثبات أن الشعر الغنائي رغم قيوده وشروطه في الوزن والقافية ورغم طبيعته القائمة على

الإيجاز والتعبير عن المشاعر الذاتية قادر على استيعاب هذا الموضوع الذي شاع استعماله في القصة والرواية والشعر القصصي بكل أنواعه.

أما عن منهج الدراسة فهو المنهج التكاملي الذي يعتمد في الأساس على المنهج الفني التحليلي، ثم يستعين بعد ذلك بالمناهج الأدبية الأخرى مثل المنهج التاريخي والاجتماعي والإحصائي وغيرها عند الحاجة إليها.

وقد قامت خطة الدراسة لهذا البحث على النحو التالي:

المقدمة: وقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره والمنهج الذي اتبعه الباحث، ثم الخطة التي قام عليها البحث.

التمهيد: وفيه نبذة سريعة عن حياة عبد الحميد السنوسي وشعره، ثم إطلالة على النماذج البشرية في الفكر والأدب والدراسات النقدية.

الفصل الأول: وهو مخصص للحديث عن الرؤية الموضوعية للنماذج البشرية لدى الشاعر عبد الحميد السنوسي، وقد بدأ بالحديث عن مفهوم الرؤية ثم تحققها ودوافعها وموضوعاتها في شعر النماذج البشرية لدى هذا الشاعر.

الفصل الثاني: وقد تناول التشكيل الفني للنماذج البشرية المختارة، وكيف صاغها الشاعر من خلال العناصر الأساسية لهذا الشعر مثل المعاني والأفكار والألفاظ والأساليب والصور الفنية والوزن والموسيقى.

الخاتمة: وقد سجلت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة من خلال ما سبق عرضه على امتداد البحث.

هذا وإني لأرجو من الله العلي القدير الهداية والتوفيق، إنه – تعالى – نعم المولى ونعم النصير، وبالإجابة جدير.

التمهيد

أولاً: نبذة عن حياة الشاعر وشعره: [1] ولد شاعرنا عبد الحميد بن عمر السنوسي بمدينة الإسكندرية في عام ١٨٩٨م، وهو ينسب إلى قبيلة السنوسي المشهورة وذات الفروع المتعددة بمصر والسودان وليبيا وغيرها من بلاد المغرب العربي.

وقد نشأ حياته الأولى في هذه المدينة المصرية العريقة، وشب وسط أسرة مثقفة وذات مواهب أدبية وشعرية، كما كان لها اهتمام واسع بشراء الكتب واقتنائها في مكتبة كبيرة لديها؛ ومن ثم ورث الشاعر هذه الكتب عن أبيه وعمه فيما بعد، وأخذ يقرأ فيها، ويتزود منها وبخاصة الكتب الأدبية والدواوين الشعرية، ومن أهمها مقامات الحريري ودواوين أبي تمام والبحتري والمتنبي وغيرهم، وقد ظهر أثر ذلك جليًا في رصانة ديباجته حتى في بداية أعماله الشعرية التي ظهرت مبكراً.

ثم يلتحق الشاعر عند بلوغ سن التعليم بالمدرسة الابتدائية أو الإلزامية كما كانوا يطلقون عليها آنذاك، وفيها أخذ يحصل أساسيات الكتابة والعلوم بمختلف أنواعها كاللغة العربية والدين والحساب والعلوم العصرية، وفي نهايات هذه المرحلة الدراسية أخذ يعرض محفوظاته الأدبية على أساتذته وزملائه، كما أنه قد بدأت موهبته الشعرية في البروز، حيث استطاع في عام ١٩١٢م أن ينظم شعرًا سليمًا، ولكن ذلك الشعر كان- في الأغلب- محاكاة لمن كان يقرأ لهم من شعراء العرب الأقدمين.

بعد ذلك ينتقل إلى مدرسة رأس التين الثانوية بالإسكندرية، وفيها يلتقي بكثير من أبناء هذه المدينة من الشعراء المعاصرين في بداية القرن العشرين، وأخذوا جميعًا

(١) مراجع الترجمة: مقدمة شعر الأستاذ عبد الحميد السنوسي: أ/ محمد مفيد الشوباشي و أ/ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ط/ مطبعة مصر عام ١٩٦٤م، وأ/ يسري محمد سلامة: عبد الرحمن شكري شاعر الوجدان ص ٦٢ وما بعدها ط / المطابع الأميرية عام ١٩٦٦م، وموقع بوابة الشعراء الإلكتروني مادة "عبد الحميد السنوسي"، وموقع ويكيبيديا الإلكتروني مادة "السنوسي".

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

يحصلون علومهم في هذه المدرسة على أيدي جمع من الأساتذة الكبار في كل التخصصات العلمية، وكان من حسن حظهم أن وجدوا الأستاذ عبد الرحمن شكري واحدًا من هؤلاء الأساتذة، وكان يتولى تدريس مادة التاريخ لهم، لكن دوره لم يقتصر على تعليم التاريخ فقط؛ حيث أخذ يوجه الطلاب من أصحاب المواهب الشعرية ومنهم شاعرنا إلى الطريقة الجديدة في صياغة الشعر، ويدلهم على المراجع ويسمع لهم بعض القصائد، ويقوم بتحليلها ونقدها وبيان مزاياها أو المآخذ عليها .. وكان ذلك يتم إما في المدرسة في أوقات الراحة، وإما في ندوة "حديقة الشلال" حيث كانوا يتقابلون عصر كل يوم بهذه الحديقة في ندوة أدبية يحاضر فيها الأستاذ عبد الرحمن شكري، ويجتمع حوله عدد كبير من شباب الشعراء بمدينة الإسكندرية لسماع آرائه ومناقشته فيما ينظمونه أو في بعض قصائده التي كان ينشرها آنذاك، أو في موضوع المحاضرة الذي يطرحه عليهم.

وقد زاد هذه الندوة قوةً وتأثيرًا وذيوعًا وانتشارًا تردد الأستاذين عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني عليها للالتقاء بزميلهما الأستاذ عبد الرحمن شكري ثم إلقاء المحاضرات في شتى فروع الفكر والثقافة والشعر والفن وبيان آرائهما في الشعر المحافظ ولفت النظر لهؤلاء الشباب من الشعراء إلى الاتجاه الجديد في الشعر والأدب والنقد واطلاعهم على الآثار الأدبية العالمية.... وقد حدث ذلك كله بعد أن وفد هذان الرائدان إلى مدينة الإسكندرية عام ١٩١٩م، واستقرا بها، واتخذا منها موطنا لهما، فلم تلبث حديقة الشلال أن اعتادت مشاهدتهما عصر كل يوم بين شعراء مدينتها، وبذلك اجتمع عقد أولئك الشعراء الذين فتحوا للشعر العربي أول نافذة تطل على الشعر العالمي.

وقد استدعت تكاليف الحياة شاعرنا بعد ذلك أن يبحث عن عمل يرتزق منه، فلم يجد أنسب من المحاماة؛ ذلك أنها تتوافق مع إمكاناته الشخصية والثقافية والأدبية،

ومن ثم عمل بها، وأبدع فيها، ووهب وقته وعقله لها، وأصبح علمًا من أعلامها، إذ انتخبه المحامون رئيسًا لنقابتهم في الإسكندرية، ومع أنه قلل من نتاجه الشعري بسبب المحاماة فقد كان يحرص على ذيوعه وانتشاره في الصحف والمجلات بالإضافة إلى مقالاته الأدبية والفكرية.

ظل عبد الحميد السنوسي على هذه الحال في حياته الشخصية والعملية حتى بداية النصف الثاني من القرن العشرين، حيث وافته المنية عام ١٩٥٦م عن عمر يناهز الثامنة والخمسين.

شعره: ترك السنوسي ميراثًا كبيرًا من القصائد الشعرية التي تجمع بين الأصالة والتجديد، وقام بنشرها في دواوين، ومنها ديوانه المفقود" لغة القلوب" الذي صدر عام ١٩١٥م، وقدم له الشاعر الكبير عبد الرحمن شكري، ثم ديوانه الشعري " نغم النفوس" الذي برز عام ١٩١٨م، كما قام بنشر بقية قصائده في الصحف والدوريات التي كانت تصدر على امتداد النصف الأول من القرن العشرين.

وقد قام الأستاذان/ محمد مفيد الشوباشي ومصطفى عبد اللطيف السحرتي بجمع ما يمكن جمعه من هذه القصائد، ثم عملا على تحقيقها والتقديم لها ونشرها في ديوان شعري جامع، عنوانه: " شعر الأستاذ عبد الحميد السنوسي" ثم قامت وزارة الثقافة والإرشاد القومي بطباعته ونشره عام ١٩٦٤م عن طريق لجنة التأليف والترجمة والطباعة والنشر كما عرفنا في المقدمة.

أما عن مذهبه الأدبي في هذه الأشعار فهو مذهب شعراء الديوان المجددين الذين تعلم على أيديهم، وتأثر بهم، وهم يدعون إلى الشعر الإنساني، والتعمق في تناول المعنى، والبعد عن الصنعة والزيف، والصدق في التجربة الشعورية، والتعبير عن النفس والكون والحياة، كما يدعون إلى الوحدة

العضوية والشعر المرسل وتعدد القافية في القصيدة الواحدة. (١)

وقد أبان السنوسي عن مذهبه هذا في قوله: (٢)

قالوا: لِمَا لَمْ تهنئْ بالقدوم فتىً ... فَجِيْدُ شِعْرِكَ في التمداح عطلانُ

ليس القريض بترحيب ومرثيةٍ ... في معشر قدموا أو معشر حانوا"

فإنما الشعر وجدان وعاطفة ... يُجِنُّهَا القلبُ ، لا نظم وأوزانُ

وإنما الشعرُ ذكرى حادثٍ جَلَلٍ ... مضى، فجدده شوق وتحنانُ

وإنما الشعر حُسْنُ الكونِ مقتبسا ... من الطبيعةِ لا زُورٌ وبُهْتانُ

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فهو في هذه الأبيات يحدد مذهبه الشعري، ويوضح أهم أسسه ومبادئه، ومما لا شك أنها تقوم على نفس الأسس والمبادئ لدى رواد التجديد الثلاثة شكري والعقاد والمازني، وقد أكد السنوسي ذلك حينما اقتبس من شعر شكري، وتواصل معه في قوله المشهور في قصيدة عصفور الجنة: (٣)

ألا يا طائرَ الفردو ... سِ، إن الشعرَ وجدانُ

ويبدو الجانب التطبيقي لهذه الأسس في شعره حينما تخلى كثيرًا عن الموضوعات المصطنعة، واهتم بما يعبر عن النفس والكون والحياة مثل الشعر العاطفي وشعر الوجدان والطبيعة والخواطر وشعر الأسرة والفكرة والنماذج الإنسانية، وكذلك حينما التزم بوحدة الموضوع، وتخلى عن القافية الموحدة في بعض القصائد بالديوان. (٤)

ثانيًا: النماذج البشرية في الأدب: النماذج جمع نَمُوْذَج بفتح الذال كلمة معربة وهي تعني مثال

(١) انظر د/ علي صبح : من الأدب الحديث ص ٤٢ ، ٤٣ طبعة خاصة بالمؤلف د.ت.

(٢) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٩٢ ط / مطبعة مصر عام ١٩٦٤م .

(٣) ديوان عبد الرحمن شكري الكامل ص ١٩١ ط/ مؤسسة هنداوي (القاهرة) عام ٢٠١٤م .

(٤) انظر / مقدمة الديوان ص ١٥ وما بعدها .

الشيء كما قال الفيروزابادي في القاموس [١] ، وجاء في المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: (الأُنْمُوذَج) مثال الشيء وصورته المختارة، وهما يجمعان على نماذج. [٢]

وإذا اقترنت كلمة النموذج بالبشرى أصبحتا مصطلحًا أدبيًا يدل على الشخصية المثالية في مجالها الإنساني.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

ولهذا المصطلح لدى نقاد الأدب تعريفات كثيرة من أبرزها قولهم: النموذج البشري يقصد به ما يجمعه الكاتب من الفضائل أو الرذائل أو العواطف المختلفة، مجردة أو متفرقة في مختلف الأشخاص، ويبرزها بتصويره في إنسان ينفث فيه من فنه ما يجعله نموذجًا لهذه المجموعة، ويجعله مثالاً لها، ينبض بالحياة، ويكون في وضوح المعالم، وبروز الملامح وروعة التصوير أقوى وأظهر مما نراه في الطبيعة. إنه الشخصية التي يجسم فيها الكاتب ما يريد من الصفات والنوازع. [٣]

ولهذه الشخصية في الأدب أمثلة كثيرة مستمدة من شتى نواحي الحياة الإنسانية منها النبي والولي والفتوة والإقطاعي والبخيل والمتكبر والأعمى والحاكم والوزير والبائع والسياسي وجحا وشهرزاد والشيطان والأرملة والمطلقة والبغي واليتيم والمتسول والمتشائم وغيرها.

ولكن التعريف قصر هذه الشخصيات على المجال النثري فقط، وعند التحقق نجد أن هذه الشخصيات تكون أيضًا في المجال الشعري القصصي والمسرحي والملحمي والغنائي ومن أمثلتها كليوباترا والمجنون في مسرح شوقي الشعري، وهناك أمثلة أخرى كثيرة لدى هذا الشاعر الرائد، وكذلك عند تلامذته من أعلام المسرح الشعري

---

(١) انظر / القاموس المحيط مادة " نموذج " .

(٢) انظر / المعجم الوجيز مادة " الأُنْمُوذج " .

(٣) انظرد/ حسن جاد: الأدب المقارن ص ١٨٣ ط/ دار المعلم للطباعة رقم ٣ عام ١٩٧٨م. ود/ محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن ص ٢٩٣ ط / دار نهضة مصر بدون رقم أو تاريخ.

مثل عزيز أباظة وعلي أحمد باكثير ومحمود غنيم ثم عند غيرهم من رواد الشعر المسرحي الحر.

وكذلك توجد هذه النماذج في الشعر الغنائي لكنها تأتي على طبيعة مختلفة عنها في الأنواع الأدبية الأخرى، حيث تقوم على الإيجاز والتركيز ومراعاة المشاعر والوجدان أكثر من غيرها، وهذا راجع إلى طبيعة الشعر الغنائي التي تراعي هذه الأشياء في الصياغة والتشكيل الفني للقصائد، ومن أبرز ما يمثل هذه النماذج في شعرنا الغنائي المعاصر قصيدة " المطلقة " و " الأرملة المرضعة " و " أم اليتيم " و " الفقر والسقام" للشاعر العربي الكبير معروف الرصافي، وقد تناولها بالتحليل الدكتور شوقي ضيف في بعض مؤلفاته. (١)

وقصيدة " الأعمى " و " الشريد " للشاعر الكبير علي الجارم، حيث تحدث عن هذين النموذجين في ديوانه العام. (٢)

وكذلك فعل شاعرنا عبد الحميد السنوسي حينما اختار عددًا من النماذج البشرية من عدة مصادر، ثم تناولها في شعره الغنائي وفق رؤيته، وسوف نتعرف عليها فيما بعد، وهناك غير هؤلاء كثيرون في شعرنا العربي الحديث.

أما عن النماذج البشرية في الدراسات الأدبية المعاصرة فلها مستويان على النحو التالي:

أ ـ المستوى المحلي: وفيه تتم الدراسة داخل اللغة الواحدة؛ حيث يتناول الدارس هذه النماذج لدى أديب معين أو أكثر في لغة محددة ليبين مصادر هذه النماذج وأنواعها وكيف تمثل الأديب تجاربها وأوصلها إلى درجة المثالية في مجالها، وما أهم ملامح التشكيل الفني لها .. إلخ

ب ـ المستوى العالمي: ويتمثل في الدراسات الأدبية المقارنة والعامة بين لغتين أو أكثر، وهذا النوع

(١) انظر/ كتاب: دراسات في الشعر العربي المعاصر ص ٦٢ وما بعدها ط/ دار المعارف رقم ٨ عام ١٩٨٨م .

(٢) انظر/ ديوان علي الجارم ص ٥٥ وما بعدها و ص ٣١٤ وما بعدها ط / دار الشروق رقم ١ عام ١٩٨٦م .

من الدراسات لا يتناول هذه النماذج إلا إذا صارت عالمية، فانتقلت من أدب إلى أدب، حيث يدرس الباحث كيفية انتقالها، وما احتفظت به من الخصائص التي كانت لها في الأدب الذي نشأت فيه، وما اكتسبته من الخصائص الجديدة في الأدب الذي انتقلت إليه. (١)

وكذلك يدرس أوجه الشبه والاختلاف والتأثير والتأثر بين هذه النماذج المتشابهة، ومن هو السابق من الأدباء ومن هو اللاحق، فلذلك كله اعتباراته في الدراسات المقارنة والعالمية.

وفي النهاية سوف تأتي دراسة النماذج لدى السنوسي على المستوى الأول؛ وذلك لبيان رؤيته لهذه النماذج من حيث اختيارها من مصادر محددة وأهم أنواعها وأشكالها في كل مصدر، وكيف تناول هذه الشخصيات حتى صارت مُثُلاً في مجالها، ثم التعرض لأهم أدوات التشكيل الفني لها.

(١) انظر/ د. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن ص ٢٩٣. ود/ حسن جاد: الأدب المقارن ص ١٨٣، ١٨٤.

الفصل الأول
الرؤيــة الموضوعيـــة

١ ـ مفهوم الرؤية الأدبية:

للرؤية في معاجم اللغة وكتب غريب الألفاظ معاني عدة منها ما يلي:

الرؤية بمعنى الإبصـار، ومنه رؤية هلال رمضـان في ليلة الأول منه. (١) وتأتي بمعنى النظر بالعين وبالقلب. (٢)

وقد جاء في كتب غريب القرآن أن الرؤية بالتاء تطلق على إدراك المرء بحاسـة البصـر، وتطلق على ما يدرك بالتخيل نحو" أرى أن زيدًا مسـافر"، وعلى التفكير نحو" إني أرى ما لا ترون"، وعلى الرأي وهو اعتقاد أحد النقيضين على غلبة الظن. (٣)

أما عن حقيقتها في الاصـطلاح الأدبي فلها أيضًـا مفاهيم كثيرة تتفق في بعض الأحيان، وتختلف في أخرى، ومما يقربها جميعًا قول بعضـهم في تعريف عام ومفصـل: " الرؤية هي النظرة العامة التي يقدمها لنا الأديب من خلال أدبه، وهي رسالة تحمل في طياتها الآراء التي يشكلها لنا الأديب من مجموعة من الصور والمفردات في الإطار الأدبي المناسب، سواءً كان ذلك الأدب شعرًا أم نثرًا ". (٤)

ولهذه الرؤية الأدبية أنواع كثيرة ومتعددة؛ وذلك لاختلاف المصـادر التي يسـتقي الأديب منها مادته، ويستمد تجربته في النص الأدبي الذي يبدعه، ومن أبرز هذه الرؤى: الرؤية السياسية وهي التي يقدمها المبدع في أعماله الأدبية، وتتضمن موقفه الخاص تجاه القضايا والمشاكل السياسية في عصره، وهناك الرؤية الاجتماعية التي يعيد فيها الأديب تشكيل الواقع ويختار منه ما يتناسب

(١) انظر/ معجم الوجيز لمجمع اللغة العربية بالقاهرة مادة (رأى) .

(٢) انظر/ القاموس المحيط للفيروزابادي مادة (رأى) .

(٣) انظـر/ الراغـب الأصـفهاني: المفـردات في غريـب القـرآن ص٢٠٨،٢٠٩ت/ أ.محمـد سـيد كـيلاني ط/ دار المعرفة "بيروت" د.ت.

(٤) د/ محمد العنتبلي : الرؤية .. الرؤيا " الشبكة العنكبوتية " .

مع هذه الرؤية التي تكشف عن إدراكه لعلاقات الواقع، كما تتضمن تخيله للصورة التي ينبغي أن تكون عليه هذه العلاقات في المستقبل. [١] وهناك أيضًا الرؤى الدينية والتاريخية والعلمية ... إلخ

على أن هذه الرؤى قد تكون محلية الأثر والنتاج، وذلك إذا قبع الكاتب في بيئته، واقتصر على موضوعاتها المحدودة وعالج مشكلاتها العابرة، ووصف المشاعر الشخصية الخاصة، وعبر عن المشكلات الوقتية فيها، وقد تكون عالمية وإنسانية عامة، وهذا لا يكون " إلا إذا تجاوز الأديب بعمله الأدبي حدود الموضوعات الخاصة في البيئات المحدودة أو المشكلات الوقتية في الملابسات العابرة، وتعالى في تعبيره عن المشاعر الشخصية أو السطحية أو التافهة التي لا يعمق تأثيرها في النفوس، ولا يكون الإحساس بها جماعيًا له صفة العموم والشمول" [٢]

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وعلى ذلك فإن الأدب الإنساني بكل أشكاله وفنونه الشعرية والنثرية هو مرآة الذات الإنسانية نرى في صفائها ما يجمع بين بني البشر من أوجاع وشئون توحد بينهم جميعًا أينما كانوا وفي كل زمان. [٣]

وشعر النماذج البشرية فرع من هذا الأدب الإنساني، حيث إن الشاعر فيه يطرح كل نموذج منه برؤية عامة، ويعالج همومه وقضاياه، ويعرض من صفاته ما يصح أن يطلق على مثيله في كل اللغات والآداب ولدى كل الأجناس والشعوب، وسوف نرى فيما يلي ما أبدعه عبد الحميد السنوسي من هذه النماذج البشرية في شعره، لنتبين من خلالها أهم بواعثها وأنواعها وشخصياتها وهمومها وغير ذلك مما يبرز رؤيته الموضوعية لها.

---

(١) انظر د/ عبد المحسن بدر: الرؤية والأداة نجيب محفوظ ص ١٨ ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠١٤م .

(٢) أ/ محمود تيمور: القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى ص ٩ ط/ المطبعة النموذجية نشر/ مكتبة الآداب د.ت.

(٣) انظر د/ عادل نيل: إنسانية القصيدة ص ٧ ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب رقم ١ عام ٢٠١٩م.

٢ـ بواعث شعر النماذج البشرية:

من أهم الموضوعات التي اشتمل عليها شعر عبد الحميد السنوسي النماذج البشرية، وقد أشار إلى ذلك مقدما الديوان، حيث قالا: ولم يقتصر هذا الشاعر على ما ذكرناه من ألوان شعرية، بل إن في هذا الديوان ألوانًا متعددة أخرى مثل شعر الإخوانيات وشعر النماذج الإنسانية وشعر الوطنية وغيرها من الموضوعات التي تكشف عن عَلَم من أعلام الشعر في الجيل الماضي لم يعرفه إلا القليلون، وعن درر له مخبوءةٍ يعلن عنها هذا الديوان في جهارة. (١)

وقد بلغت أعماله في هذا النوع من الشعر في ديوانه ما يزيد على عشرة أعمال موزعة ما بين القصائد التي تشكل سبعة أبيات فأكثر، وبين المقطوعات الشعرية التي تقل عن ذلك العدد في حجمها، وهذه الأعمال هي المغرور (د/ ص ٣١ ، ٣٢) والأعمى (د/ ص ٣٨ ، ٣٩) والنفوس الكبيرة (د/ ص ٤١) والمجنون التائه (د/ ص ٤٢) ونابليون في القديسة هيلانة (د/ ص ٦٠ : ٦٢) والممثل (د/ ص ٨٠ ، ٨١) والشاعر الصداح (د/ ص ٨٦ : ٨٨) والحاسد (د/ ص ٩٨) ويا أخي (د/ ص ١١٥) ووداع آدم للفردوس (د/ ص ١١٧ : ١٢١) والإمام محمد عبده (د/ ص ١٢٤) وإلى غليوم (د/ ص ١٢٨ ، ١٢٩) أما عن بواعث هذا الموضوع لدي شاعرنا فكثيرة منها ما يلي:

ـ **النزعة الإنسانية**: فالسنوسي في هذه الأعمال الشعرية يتجاوز همومه وقضاياه الإقليمية، ويركز على تصوير الإنسان كل الإنسان وما فيه من مزايا أو نقائص وعيوب، ثم يقدمه في أعماله بمحاسنه أو مساوئه حتى يكون نموذجًا أدبيًا يمثل نوعه من الإنسان في كل زمان ومكان، وهو بذلك كله إنساني النزعة، أي أن مساوئ الإنسانية أو محاسنها تتضح في فنه وفي أدبه وفق رؤيته، بمعنى أنه لا يخفيها، بل يجليها في أتم معانيها كما قال أحد النقاد في تفسيره لبعض معاني الإنسانية في الأدب[٢].

ـ **التأثر بالاتجاهات الشعرية الجديدة**، فقد تأثر شاعرنا بأعضاء مدرسة الديوان الثلاثة شكري

(١) انظر. مقدمة شعر السنوسي/ مفيد الشوباشي و أ/ عبد اللطيف السحرتي ص ٢٤.

(٢) انظر د/ شوقي ضيف : دراسات في الشعر العربي المعاصر ص ٥٩ .

والعقاد والمازني قبل قيام مدرستهم؛ وذلك عن طريق قراءة أشعارهم الجديدة التي ظهرت تباعًا في بدايات القرن العشرين وعن طريق الالتقاء المباشر بهم في حديقة الشلال بالإسكندرية، وسماعه لأشعارهم وآرائهم الجديدة في الشعر والأدب، هذا بالإضافة إلى تأثره بالشعر الإنجليزي عن طريق أستاذه عبد الرحمن شكري الذي كان يحثه وزملاءَه على الاطلاع على هذا الشعر، ويمدهم بدواوين فحول الشعراء فيه. (١)

ومما لاشك فيه أن هذه الأشعار لدى أصحاب الاتجاه الجديد عندنا، ولدى شعراء الإنجليز كانت تموج بالنماذج الإنسانية التي أبدعها الرواد في كلا الأدبين؛ فاطلع عليها السنوسي، وحفظ كثيرًا منها، وترسم خطاها بعد ذلك في قصائده المشار إليها آنفًا، ومن أبرز القصائد التي عرضت النماذج الإنسانية لدي الديوانيين وطالعها السنوسي قصيدة نابليون والساحر المصري وقصيدة الشاعر وصورة الجمال ثم قصيدة الملك الثائر لعبد الرحمن شكري، ثم قصيدة الأعمى والحسناء العمياء وأخيرًا ترجمة شيطان للعقاد التي بث فيها خواطره الفلسفية، وساق كثيرًا من آرائه على لسان الشيطان. (٢)

ـ **التوجيه والإرشاد**: فالسنوسي في هذا الموضوع الشعري يجتهد في انتقاء النماذج البشرية وفي طريقة عرضها وفق الرؤية التي يراها لكل شخصية، وذلك ليؤثر في المتلقين، ويدعوهم إلى التجاوب معها، ولهذا التجاوب صورتان: التجاوب الإيجابي، وذلك بالشفقة والرحمة مثلما حدث في قصيدة الأعمى ومقطوعتي النفوس الكبيرة ويا أخي، أو بالتقدير والإعجاب مثلما جاء في قصائده: الممثل والشاعر الصداح وذكرى الإمام محمد عبده وغيرها، ثم التجاوب السلبي وهو القائم على الكراهية والاشمئزاز والنفور، وهذا وارد في بعض الأعمال الشعرية وما تضم من النماذج البشرية السيئة والمعروفة في الواقع الاجتماعي أو الواقع التاريخي ومن أبرز ما يمثلهما

(١) انظر / مقدمة شعر السنوسي ص ٦ وما بعدها .

(٢) د/ حسن جاد : الأدب المقارن ص ١٩٦ .

من الأعمال: المغرور والحاسد ثم قصيدة إلى غليوم قائد الألمان في الحرب العالمية الأولى وما قبلها.

٣ـ التشكيل الموضوعي للنماذج البشرية:

يقوم شعر النماذج البشرية لدي شاعرنا عبد الحميد السنوسي في موضوعاته على عدة أنواع، يمكن بيانها على النحو التالي:

أ – **النموذج الاجتماعي العام**: وهو النموذج الذي استمده السنوسي من الحياة الاجتماعية العامة ومما بها من الشخصيات التي يقابلها كثيرًا، ويشاهدها في الواقع الحياتي، ويتعامل معها في كثير من المواقف اليومية، وعلى ذلك فالتجربة هنا ليست شخصية مر بها الشاعر وعاناها، وإنما هي غيرية اجتماعية، يأخذها الشاعر من محيطه الاجتماعي المعاصر" وهو في تصويره لها يعتمد على الملاحظة والخيال، وليس من الضروري أن ينغمس فيها بشخصه لكي يحسن تصويرها، بل ربما كان النظر من بعيد أدعى لنفاذ الرؤية والوقوع على الصواب، والأديب الحق هو الذي يستطيع أن يتحدث عن آلام الحرمان ومشقات البؤس دون أن يخبر بنفسه بالفعل هذا الحرمان؛ لأن ذلك يدل على قوة البصيرة ونفاذ الخاطر وشفافية الحس". (١)

وهذا ما حدث في هذا النوع من شعر النماذج البشرية لدى السنوسي، حيث استمد شخصياته من المحيط الاجتماعي أمامه، ثم تمثلها معتمدًا على الملاحظة والخيال إلى أن نضجت في ذهنه، ثم أخذ ينفث فيها من فنه وتصويره ما جعلها شخصيات مثالية تحمل رؤيته الفنية، وتضارع أشكالها في الواقع العام، وهذه النماذج تتمثل في الأعمى والممثل والشاعر الصداح والمقهور والحاسد وغيرها مما ورد في قصائد، ثم المغرور والطموح والأخ التي وردت في مقطوعات شعرية.

وفي جانب القصائد تناول السنوسي – كما نرى – عددًا من النماذج البشرية الاجتماعية

---

(١) د/ طه أبو كريشة : أصول النقد الأدبي ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ " بتصرف " ط/ الشركة المصرية العالمية للنشر " لونجمان " "الجيزة" عام ١٩٩٦م .

بشيء من التفصيل عن واقعها الحياتي الإنساني، وهذه النماذج منها ما يمثل أصحاب العاهات كالأعمى، ومنها ما يمثل أصحاب المواهب الفنية كالممثل والشاعر الصداح، ومنها ما يمثل بعض الفئات الإنسانية كالمقهور، وأخيرًا هناك ما يمثل المثالب والعيوب الأخلاقية كالحاسد وغير ذلك.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وفي تناوله لنموذج الأعمى قدم الشاعر بعضًا مما يدور في نفسيته البائسة بسبب العاهة المستديمة التي لا تريم، وقد حاول أن يكون ذلك بإيجاز مراعاة لطبيعة القصيدة الغنائية، وأن تمثل هذه الخواطر كل العميان لتصبح نموذجًا عامًا، وأن تتوافق مع رؤيته التي تتمثل في تقديم هذه الشخصية تقديمًا فنيًا لإثارة عامل الشفقة والرحمة تجاهها، وأن يكون ذلك على لسانها لتعميق الجانب الفني وإضفاء المصداقية على هذه القصيدة.

أما عن الأفكار التي وردت في هذه القصيدة على لسان الأعمى فتتمثل في الإقرار بعاهته المستديمة والمستعبدة له، ثم تمنيه زوالها والخلاص منها، ولو كان ذلك بشرائه لضياء العين ونورها ليرى الكون المنير، ويتحقق من الشمس المضيئة التي ليس له منها سوى اللفحة والهجير، وكذلك ليرى الورد الذي يشمه فقط، ثم ليبصر الطيور الجميلة، وقد جاء ذلك في البداية التي يقول فيها: (١)

أيشكو الورى مثلي عميً يسترقُّهم ؟ ... أم الناسُ منهم مبصرٌ وضريرُ
وهل يُشْتَرى ذاك الضياءُ فأشترى ... ضياءً، يريني الكون وهو منيرُ
لَرُمتُ اجتلاءَ الشمس وهي مضيئةٌ ... فأرجع والطرف الحسيرُ حسيرُ
وما لي وإن طال التعلل والمنى ... من الشمس إلا لفحةٌ وهجيرُ
نصيبي من الوردِ النَّدِيِّ اشتمامُه ... وحظى من حسن الطيور هديرُ
وهيهاتَ لا يُجديك شمٌّ ومسمع ... إذا ما خبا بين المحاجر نورُ

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٣٨ .

ثم يتحدث عن بصيرته التي خصه الله بها، وزاده منها، فهي تحيل المسموعات لديه عن الكون ومفرداته الطبيعية إلى مشاهد ورؤى قلبية تنير وجه الحياة ، فيقول: (١)

وحدثتموني عن بدورٍ وأنجم ... تأَلَّقُ في جيد الدجى وتنير
تُزَيّنُ أرجاءَ السماءِ هُنَيْهَةً ... وتسبح في أجوائها وتسيرُ
ويغمرها الفجر المضيء بنوره ... فتفرق منه رهبةً وتغور
لخلتُ بأني ما عميتُ، فإنني ... أكاد أرى وجهَ الحياة ينيرُ
أرى كل حُسْنٍ فاتنٍ يستخفني ... فتهفو بقلبي أَنَّةٌ وزفيرُ

وفي المقطع الأخير يستغيثُ بمن يهديه نورًا بعد أن غاب نجماه لكي يسعى به في هذه الحياة، ويمشي به في جوانب الأرض المختلفة ليحقق أهدافه وأمانيه، ثم يعرب عن كرهه لكل إنسان يرى الدنيا بمحاسنها، ويتمتع بمشاهدها، ثم يبقى ساكنا فيها .. وأخيرًا يختم بحكمة يرى فيها أن كثيرًا من المبصرين يعيشون عميًا عن كثير مما بها وإن قال عنهم الناس: إنهم مبصرون، يقول: (٢)

وكم مُبْصرٍ في الناس قد عاش عمره ... ضريرًا، وإن قال الأنام: بصيرا!

وهكذا قدم الشاعر هذا النموذج البشري في صورة إنسانية يعاني فيها من بعض المشاكل الحياتية، ويكره ويحب، ويأمل ويريد، ويسعى إلى هدفه ويطلب من الآخرين مساعدته، وهو في ذلك وغيره بشرٌ يعاني في الحياة.

ومن النماذج الاجتماعية أيضًا والتي تمثل أصحاب المواهب الفنية في الحياة عند السنوسي نموذج الممثل الحق، وفيه قدم الشاعر لنا مثلاً رفيعًا لهذا الفنان تتضح فيه تنوع أدواره التمثيلية وعظمة أعماله الفنية وبخاصة التاريخية التي تصور لنا عصورًا مضت لنراها في وقت محدود، ونستنبط العظة والعبرة من أحداثها وشخصياتها

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٣٩ .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

المشابهة للواقع المعاش عندنا؛ فما التاريخ إلا حلقاتٌ وأحداثٌ معادةٌ مكررةٌ .. يقول الشاعر في ذلك كله: (١)

خبيرٌ بما تطوى النفوسُ وتكتمُ ... أميرٌ بلا تاجٍ ، شَقِيٌّ محكّمُ
يصور للرائي عصورًا تَجَرَّمتْ ... وطاح بها الأزلم المتحكمُ
فننظر في آنٍ عصورًا طويلة ... تمرُّ كما مَرَّ الخيالُ المُيمِّمُ
يهيب بمطويٍّ زوته يد البلى ... فيبدو لنا الجيلُ البعيدُ الملثمُ
نرى في قديم الدهر ما في نفوسنا ... فيبدرُ منا سرٌّ ما نحن نكتُمُ
مشاهدُ لم تُدْرِك سوى النفسِ رمزَها ... ولم يحوِها سِفْرٌ لدى الناسِ قيّمُ
مشاهدُ تبدي سرَّ نفسِك واضحًا ... جليًا يراه الناظرُ المتوسمُ

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وفي الجانب التالي من القصيدة يقدم لنا الشاعر وصفًا دقيقًا عما يعانيه هذا النموذج البشري في عمله، فهو يتعب ويشقى ليسعد المشاهدون، ويضحك مهمومًا ليصيح الأغرار، ويبكي تمثيلاً ليتجاوب المتيمون، ويجمع شعور كثير من الناس في أعماله، منهم العاشق الغوي والملك المستبد والمجرم السفاح، ومن شدة التفاعل مع أدواره المتعددة اختلف شعور الناس نحوه، منهم المحب ومنهم الكاره، ومنهم المؤيد ومنهم الرافض.. كما أن الموت يدركه كثيرًا في أدواره التمثيلية فيموت مرة، وينجو أخرى، ويظل كذلك حتى يدركه الموت الحقيقي الذي يقضي عليه، ويختم حياته، وهو في النهاية واحد من البشر حياته كحياتهم، لكنهم يجهلون ذلك، ويعلمه هو ... يقول الشاعر: (٢)

أَيَا متعةَ الأشهادِ في كل محفل ... شَقِيتَ بما نَلْهو به وَنُنَعَّمُ
أتضحك مهمومًا ليهتفَ غافل ؟ ... وَتَنْحَبُ تضليلاً ليبكىَ متيمُ

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٨٠ .

(٢) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٨٠ ، ٨١ .

فكم لُحْتَ ضحَّاكًا وقلبُك ناحب؟ وكم لُحْت بَكَّاءً وقلبُك يبسمُ
جمعتَ شعورَ الناسِ طرًا؛ فعاشقٌ غويٌّ وَمَلْكٌ مستبدٌّ ومجرمُ
فأين شعورُ فيكَ قد غاب فيهمو؟ شعورُك لو تدري شعورٌ مقسَّمُ
تموت وتحيا كل يوم، فلا الردى يُخِيفكَ منه قَصْدُهُ والتيمُ
فكم بطشةٍ للموتِ من بعدِ بطشةٍ تُصابُ بها حينًا؛ فتنجو وتسلمُ؟
سِوَى بطشةٍ للموت لا كذبَ عندها ستعرف منها كيف عَيْشُكَ يُخْتَمُ؟
وما أحدٌ في الناس إلا وعيشُهُ كعيشك ، لكن يجهلون وتعلمُ

ومن خلال ما سبق في هذا العرض نرى أن تلك الصفات التي وردت لهذا النموذج الفني" الممثل الحق " هي ما يجب أن تكون لمثيله في كل زمان ومكان؛ مما يؤكد على الرؤية الإنسانية العامة لدي الشاعر.

وكذلك من النماذج الاجتماعية التي تمثل الفئات البشرية نموذج المقهور العاجز الذي ورد في قصيدة عنوانها " المجنون التائه "، ولا تعارض في ذلك، حيث إن الإنسان العاجز المقهور يذهب بأحلامه بعيدًا، ويجوب كل الأنحاء، ويرسم لنفسه عالمًا أشبه ما يكون بعالم المجانين كما يقول بعض الأدباء. (١)

والنموذج الذي معنا يشبه ذلك، فهو بسبب قهره ثم عجزه عن رد الظلم والعدوان يريد الفرار من الواقع الحياتي، ويهيم على وجهه بين المفاوز أو في شم الجبال، ويترك العيش كارهًا له لاحتوائه على الشقاء والهموم، ثم يهيم على وجهه في الأرض، ويهرب من دنيا الناس ليعيش مع الجوارح في الصحارى، ويشرب من مائها المتغير، ويستنشق ريحها الحارة، وليبث رياحها العاتية ما يعانيه من شدة الألم، كما يريد أن ينحت بيتًا من الصخر هناك؛ حتى لا يعلم الناس مكان إقامته لما يدريه من شرورهم

(١) انظر د/ نجيب الكيلاني: تحت راية الإسلام ص ١٧ ط / مؤسسة الرسالة (بيروت) رقم ٣ عام ١٩٨٤م.

وخوفه من النزول إليهم، ثم يبين أن هذه الإقامة الخشنة أحسن عنده من سكنى القصور ورؤية البساتين لابتعاده عن الظلم وشرور الناس، جاء ذلك كله فيما يلي: (١)

ألا ليتني بين المفاوز هائم ... أَوَ انِّيَ في شم الجبال مُسِيمُ
فأهجر هذا العيشَ هجرةَ زاهدٍ ... هل العيشُ إلا شقوةٌ وهمومُ ؟
أجوبُ رحيبَ الأرض والكونُ واسعٌ ... وأهرب من هذا الورى وأهيمُ
أهيم كأني قد أصبتُ بجِنَّة ... أَوَ انِّيَ من ناب الحياة سليمُ
أعيش مع العقبان في وكناتها ... وتأنس بي العقبان وهي جثومُ
وأشرب ماءَ القفر، والماء آجن ... وأنشق ريح البيد وهي سمومُ
أبث الرياحَ الهوجَ برحَ لواعجي ... ويطربني قصف لها وهزيمُ
وأنحت لي بيتًا من الصخر خافيًا ... فلا يعلمنَّ الناس أين أقيمُ؟
صحبتُ بني دهري فلمَّا خبرتهم ... ربأتُ بنفسي أن يقال: لئيم
فأحسنُ من سكنى القصور مغاورُ ... وأبهجُ من مرأى الرياض حُزُومُ

وهذه هي سمة المقهورين دائمًا، فهم يريدون الفرار من واقعهم الذليل إلى أي مكان يحفظهم، ويرد كرامتهم، ويبعدهم عن الظلم والجبروت وشرور المعتدين.

أما عن النموذج الاجتماعي الذي يمثل العيوب والمثالب الأخلاقية هنا فهو "الحاسد" الذي ورد في قصيدة صغيرة تحمل نفس الاسم، وتبين أوصافه الإنسانية التي لا يُختلف عليها في كل الأزمنة والبيئات والثقافات ومن أبرزها الخداع واللؤم والمداراة والغيظ والثورة وحرقة القلب وتطاير الشرر من عينيه وغليان صدره ودوام علته عند حدوث النعم لدى الناس يقول الشاعر: (٢)

وكم من حَاسِدٍ خِبٍّ لئيمِ ... يُريكَ سذاجةَ الطفلِ الصغيرِ

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٤٢ .

(٢) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٩٨ .

وتحت ضلوعِهِ ضَبٌّ كمينُ ... وأفعى تنفث الموتَ الزؤاما
يُقَطِّعُ قلبُهُ في كل يومٍ ... ويَزْبُدُ مثلما ثار العُبابُ
تَطايرُ من محاجره شَرَارٌ ... وَتَخرجُ منه أنفاسُ السَّمُومِ
تكاد تحسُّ نارَ البغض تَغْلي ... بأضلعه ويلفحك السعيرُ
يعيش الدهرَ مسمومًا عليلاً ... ويفري قلبَهُ الداءُ الدخيلُ
وينظر هذه الدنيا بعينٍ ... يهيجُ قذاتَهَا ريحُ الحقودِ

ولا يقتصر النموذج الاجتماعي لدي شاعرنا على القصائد فقط، حيث ورد في عدة مقطوعات شعرية لديه تتسم بالإيجاز الشديد والتكثيف وسرعة التناول في الصياغة الفنية، وهذه النماذج البشرية تتمثل في المغرور "ثلاثة أبيات" والأخ "أربعة أبيات" والطموح "خمسة أبيات".

وفي المقطوعة الأولى تناول الشاعر نموذج الإنسان المغرور المتكبر في مشهد مكثف يرصد أهم ملامحه الإنسانية العامة، فهو- بدافع من الغرور- يرى شخصه فوق البشر، ويعد نفسه سيدًا وغيره من العبيد، بل يرى أن كل كبير ما خلاه صغير، والحقيقة أنه ومَن تحت السماء حقير...يقول الشاعر عن هذا النموذج: (١)

يرى نفسه فوق السماءِ وإنما ... يطير به فوق السماءِ غرورُ
ويحسبُ أن الناسَ طُرًّا عَبِيدُهُ ... فكلُّ كبيرٍ ما خلاه صغيرُ
يُطل علينا من سماء غروره ... وكل الذي تحت السماء حقيرُ

وفي المقطوعة الثانية يتناول السنوسي نموذج الأخ في تصور عام لأهم ملامحه الإنسانية، حيث يراه السند والمعين عندما يقل الأنداد والأصحاب، كما يراه الحبيب الأعظم الذي يضن بحبه، ويحافظ عليه وإن فرط في كل الورى، ثم يدعوه إلى الثقة في ذلك وطرح الظنون السيئة جانبًا، وأخيرًا هو حَبَّةُ القلب المستكنة في الصدور، فلا

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٣٢ ، ٣٣ .

يستطيع مسها بسوء، لأنه إن فعل دمر فؤاده، وأثار شجونه وأحزانه، يقول الشاعر: (١)

أَخِي، أنت في هذي الحياة مُعِيني ... إذا قلَّ أندادي، وعزَّ قريني
أضنُّ بِحُبَّيْكَ الذي ملك الحشا ... ولستُ على هذا الورى بضنينِ
أعيذكَ أن تمشي الأظانين بيننا ... فليس الذي ترويه غيرَ ظنونِ
وما أنت إلا حبَّةُ القلب إن أُصِبْ ... أَصَبْتُ فؤادي، واستثرت شُجُوني

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وفي المقطوعة الأخيرة يتناول الشاعر النفس الطموح التي تسعى دائما لإدراك المعالي وتحقيق الآمال، كما تهوى الصعود إلى أعلى الدرجات مهما كلفها ذلك من الشقاء والعذاب والألم، على أنها لا تتوقف عند غاية معينة منها ولو بلغت هام السماك، ومن ثم تحقق العمران وعاش الناس حياة إنسانية بعيدة عن حياة القطعان من الحيوانات الصغيرة في الأرض الخلاء الجرداء ... يقول الشاعر: (٢)

تُحَلِّقُ فوق نجومِ السماء ... وتَجْرعُ من ضوئها المُتْرعِ
وتَهْوى العلاءَ؛ فتشقى به ... وَحُبُّ العلا مصرعُ الأروعِ
وليس طماحُ النفوسِ سوى ... عذابِ النهى وجوى الأضلعِ
ولو بلغ المرءُ هامَ السماكِ ... لرامَ المزيدَ، ولم يقنعِ
ولولا المطامعُ عاش الورى ... قطيعاً من البَهْمِ في بَلْقَعِ

ب- النموذج الديني: وهو النموذج البشري الذي يستمده الأدباء من الكتب المقدسة وما يتصل بها من قصص الأنبياء والقادة والمصلحين، ثم يبرزونه في فنونهم السردية أو الشعرية المتعددة، وعلى ذلك فالتجربة هنا غيرية أيضًا، ولا حرج على الأدباء في ذلك " فكل ما في الحياة صالح لأن يكون مادة لفن الأدب، ولا حظر على الشاعر في أن يتناول ما يشاء مادام يحس أن ذلك صالح لأن يعبر

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١١٥ .

(٢) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٤١ .

فيه تعبيرًا أديبًا؛ يسجل فيه خواطر نفسه وتأمل فكره وإحساس قلبه. وليس شرطًا في التجربة أن تكون تجربة شخصية وقعت للشاعر حقًا، وعاناها بنفسه؛ فإن هذا يضيق من مجال الأدب والشعر، وينضب موارده ..." (١)

والشاعر عبد الحميد السنوسي واحد من الشعراء العرب المعاصرين الذين التفتوا إلى هذا النموذج الديني في نتاجه الشعري؛ حيث قدم اثنتين من الشخصيات الدينية هما سيدنا آدم عليه السلام في قصيدة: وداع آدم للفردوس"د/ ص ١١٧ : ١٢١" والشيخ محمد عبده في قصيدة: ذكرى الإمام محمد عبده "د/ ص ١٢٤" ، ولم يكن مراده من ذلك تتبع حياة هاتين الشخصيتين؛ فذلك معروف في الكتب السماوية المقدسة والتفسير وقصص الأنبياء بالنسبة لسيدنا آدم عليه السلام، ومعروف في كتب التراجم والأدب والفكر الحديث بالنسبة لشخصية الإمام المجدد محمد عبده، وإنما المراد هو تقديم بعض المواقف والأعمال من حياتهما التي تبرز كل شخصية منهما كنموذج بشري رفيع، وكذلك لصياغة بعض التجارب الفنية التي يسجل فيها السنوسي خواطر نفسه وتأمل فكره وإحساس قلبه.

ومما يؤكد على ذلك أن الشاعر في القصيدة الأولى اختار من حياة سيدنا آدم عليه السلام موقفًا واحدًا هو خروجه عليه السلام من جنة الفردوس بسبب عصيانه لربه، وفيه أخذ يودع هذه الجنة، ويذكر مفردات نعيمها وما كان له من التنعم والسلطان فيها، وما قُضِي عليه من الطرد بسبب عصيانه وأكله من الشجرة التي منع منها، وأنه سيعش بعد ذلك في الأرض شقيًا للتكفير عن ذنبه وحالمًا بجنان الفردوس حتى الموت، وفي النهاية يطلب من أبنائه عندما يبتلون في الحياة الدنيا ألا يغضبوا منه لأنه أشد منهم معاناة فيها، وألا ينقموا عليه تنعمه في الفردوس فترة، لأن ذلك مما يزيد في حسرته عنهم، وأخيرًا يطلب منهم الرضا بقضاء الله وقدره والصبر على الملمات في

(١) د/ طه أبو كريشة : أصول النقد الأدبي ص ٢٢٤ .

هذه الدنيا، ففي ذلك الشفاء من كل ما يتعرضون له ... ثم أخذ الشاعر يعقب على ما سبق بذكر خواطره وتأملاته حول قيمة الصبر في الدنيا الذي حث عليه آدم عليه السلام، فهو قد جربه، لكن لم يفد، كما أخذ يبين عن بعض تأملاته في الحياة وسعى الناس فيها الذي لا ينتهي إلا بالموت، فيفنى المرء ويبقى العمل لعمارة الكون .. إلخ

وقد قال سيدنا آدم في وداعه للفردوس بهذه القصيدة: (١)

سلامٌ على الفردوس، ما أبهج الربى ... ووديانَ سحرٍ رائعاتٍ زواهيا
وما أعذبَ الغدرانَ والطيرُ حُوَّمٌ ... تُردِّدُ ألحانَ الخلودِ البواقيا
جنان أَبِيَّات على طارق البِلَى ... فلستَ ترى فيها مدى الدهرِ ذاويا
وقد كنتُ فيها خالدًا مثلَ زهرِها ... بقاءَ الليالي، لا أخاف اللياليا

ومما جاء في طرد آدم من الجنة وهبوطه إلى الأرض بسبب عصيانه قول الشاعر على لسان سيدنا آدم ما يلي: (٢)

قضى اللهُ أن أغدو طريدَ جنانه ... وأهبط أرضًا لستُ أعرف ماهيا
قفا بي قليلاً في رُباها مودعًا ... مقاصيريَ اللاتي بها والمغانيا
قفا بي فقد حُمَّ الغداةَ ترحُّلٌ ... وقد شاءَ ربُّ الكونِ ألا تلاقيا
سأضْرِبُ في الأَرْض الفضاءِ لعلني ... أُكَفِّر عن ذنبي وما كنت عاصيا
بلى قد عصيت الله في الدوحة التي ... أكلتُ جناها خلسةً فبلانيا
وحواء أغرتني بها فأطعتها ... على سفهٍ منّي ، فأصبحتُ جانيا
سأنفق أيامي البواقي بحسرة ... تمزق قلبي أينما كنتُ ثاويا

ومما جاء في بيان حقيقة الدنيا وما سيلاقيه آدم عليه السلام هو وأولاده من بعده من الشقاء

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١١٧ .

(٢) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١١٨ .

والأحزان فيها ما يلي: [١]

أضعت خلودي بالذي هو أبخسٌ ... فهل نافعي أن الخفيَّ بَدَا ليا؟
ظمئت إلى ما غاب عنِّي فلم أزد ... سوى ظمأ يضني، وإن ظُنَّ راويا
كفى حزنًا أني شقيتُ ، وأنني ... سأشْقِي إذا أَوْديتُ بعدي الذراريا
بَنِيَّ إذا الدنيا دهتكم شئونُها ... ولاقيتمُوا أحداثها والعواديا
فلا تغضبوا ممن رماكم إلى الرَّدى ... كفاني ما عاناه قلبي كفانيا!
ولا تنقموا أني نعمت لياليا ... بعيشيَ في الفردوس جذلانَ لاهيا
فإن نعيم المرء أصلُ شقائه ... ومن لم يذق غير الأسى عاش راضيا
ولا تقنطوا من رحمة الله إنه ... يراكم، وصبرًا، إن في الصبر شافيا

وهكذا قدم السنوسي لنا في هذه القصيدة شخصية آدم عليه السلام كنموذج بشرى عام للإنسان في كثير من أحواله، فهو يودع ويستقبل ويفرح ويأسى ويحب ويكره ويطيع ويعصى ويقوى ويضعف ويلوم ويعتذر ويعترف ولا ينكر ويؤمن بالقدر ويدعو إلى القيم والمبادئ وهو في النهاية حكيم ينطق بعظيم الحكم ... إلخ

وفي القصيدة الثانية هنا تناول السنوسي شخصية الإمام محمد عبده في مناسبة ذكرى وفاته في بعض السنوات، لكنه لم يؤبنه كما يفعل الشعراء في الذكرى السنوية لأي فقيد، حيث تجاوز ذلك إلى الحديث عنه كنموذج بشري ديني رفيع؛ فهو عالم ومثقف ومفكر وأديب استطاع بعقليته الفذة وفقهه الجم وفهمه لفقه الواقع وفقه المآلات أن يجدد دارس الدين في بلادنا، ويمحو الخرافات، ويبعث النوام، ويبدد الضلال، وينير الأفهام، ويدعو إلى الدين بالعلم والعقل، ويصلح العقائد البالية، ولم يمت إلا بعد إتمام هذه الأسس التي يجب أن تتبع ... يقول الشاعر: [٢]

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١٢٤ .

لـقـد قـام في مصـــر يـجـدد دارســـًا ... ويـبـعـث أمـواتًـا، ويـوقـظ هُـجَّـدا
مضـى يبتنى مجدًا على الدهر خـالـدا ... فـلـلـه مـا أبـقـاه فـيـنـا وخَـلَّـدا!
ولله عـــزم لا تَـفِـلُّ شَـــبَـاتُـهُ ... رمـاه عـلـى جـيـش الضـــلال فَـبـدَّدَا
ومـا كـان إلا شـــعـلـةً قـدســـيـةً ... أضـــاءَت ســبيلاً كـان كـالليـل أسـودا
فـلـم تـزد الأفـهـامَ إلا حصـــافـةً ... ولـــم تـــزد الأرواحَ إلا تـــوقـــدا
لقد عاش يهدي الناس بالعلم والحجى ... ويصـــلـح بـالإيـمـان مـا الـدهـر أفســـدا
ومـات ولـكـن بـعـد مـا فَـرَّقـت لـنـا ... تـعـالـيـمـه بـيـن الضـــلالـة والـهـدى
فـلـم يـبـق إلا أن نـقـيـم بـنـاءَنـا ... وَطِـيـدًا عـلـى مـا قـد أقـام وشـــيـدا

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وهذه هي الصـــورة العامة لكل مصـــلح ومجدد ديني في كل زمان ومكان مما يجعلها نموذجًا في مجالها، وقد مثلها عندنا في العصـر الحديث غير شـخصـية الإمام الأسـتاذ جمال الدين الأفغاني والأستاذ محمد رشيد رضا والشيخ محمد مصطفى المراغي والشيخ محمود شلتوت ومحمد إقبال ومالك بن نبي وغيرهم كثيرون. (١)

جـــ - **النموذج التاريخي**: وهو الذي يسـتمده الأدباء من التاريخ بكل حلقاته وأنواعه في آدابهم، فهو مصـدر عظيم من مصـادر التجربة عندهم" التي تؤخذ من أحداث التاريخ وتجارب البشـر، فباسـتطاعة الأديب أن يتخير منها ما يشـاء، ويجعله موضـوعًا ومادة لأدبه؛ بحيث يحول الخاص إلى شـيء عام، ويجعل منه أمرًا إنسـانيًا عامًا، يسـتطيع كل إنسـان أن يرى فيه نفسـه دون التقيد بالتفصيلات التاريخية والاكتفاء بالخطوات العامة .." (٢)

وقد صـاغ السـنوسـي نموذجين من النماذج البشـرية المسـتمدة من التاريخ الأوربي الحديث؛ وذلك في قصـيدتين من شـعره الغنائي هما: نابليون في القديسـة هيلانة "د/ ص ٦٠ : ٦٢ " و إلى

(١) انظـر/ د. محمـد حمـدي زقـزوق: تجديـد الفكـر الـديني ص ٣٥ ط / مطـابع الأهـرام عـام ٢٠١٠ م – وزارة الأوقاف المصرية / سلسلة تجديد الفكر – رقم ٨ .

(٢) د/ طه أبو كريشة : أصول النقد الأدبي ص ٢٢٦ .

غليوم "د/ ص ١٢٨ ، ١٢٩"

والملاحظ على هذين النموذجين أنهما من فئة الطغاة المتجبرين الذين سعوا في الأرض مفسدين، ومضوا يمينًا وشمالاً وشرقًا وغربًا؛ فدمروا وقتلوا وسفكوا الدماء وأبادوا كثيرًا من البلاد والحضارات ولكنهم سقطوا في النهاية بأيدي المناوئين، فنفوهم بعيدًا عن بلادهم، وتركوهم كذلك في ذلة وحسرة حتى الممات، وقد ركز الشاعر على هذه النهاية لدى النموذجين في القصيدتين ليعلن بطريق غير مباشر لقادة الاحتلال الإنجليزي لمصر آنذاك وغيرهم أن نهايتهم ستكون كذلك.

أما النموذج الأول فهو نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا بعد ثورتها وحاكمها الأشهر الذي سعى منذ قيادته للجيش الفرنسي ثم صعوده للحكم "١٨٠٤ / ١٨١٥م" إلى مجد فرنسي زائف، وإلى تحقيق أطماعه الشخصية؛ فحارب في الشرق والغرب حروبًا غير مشروعة، وبأسلوب همجي فقتل ودمر وأباد وسفك الدماء واستحل الحرمات، وقد فعل ذلك في مصر وبلاد الشام أثناء الحملة الفرنسية التي قادها في الشرق "١٧٩٨ / ١٨٠١م"، وكذلك فعل في الغرب في كثير من دول أوربا بعد ذلك، وظل هكذا حتى أسقطته انجلترا في معركة واترلو ببلجيكا عام ١٨١٥م، وأخذته أسيرًا، ثم نفته إلى جزيرة نائية في أقصى الجنوب بالمحيط الأطلسي اسمها " القديسة هيلانة" وهي جزيرة صخرية بركانية لا زرع فيها ولا حياة إلا نادرًا، وهناك عاش نابليون بقية حياته " ١٨١٥ / ١٨٢١م" ذليلاً في أسره بعيداً عن وطنه وأهله، وعانى كثيرًا من الهموم والوحدة والحياة السيئة التي لا تليق بأدنى إنسان. (١)

وقد ركز السنوسي في قصيدته الشعرية التي معنا على المقطع الأخير من حياة هذا الحاكم الطاغية والمتمثل في معيشته بهذه الجزيرة ليقدم نموذجًا بشريًا للإنسان الذي ذل بعد عزة، وضعف بعد قوة مفرطة، فقد احتوشته

(١) انظر .أ/ جمال الكاشف: مقتطفات من تاريخ العالم ص١٠١/ ١٠٤ ط/ الهيئة العامة للكتاب- مكتبة الأسرة عام ٢٠٠٣أ وموقع ويكيبيديا الإلكتروني تحت عنواني:"نابليون، والقديسة هيلانة"

الهمـــوم والأحـــزان، ولـــم يرافقـــه أو يتعـــاطف معـــه ســـوى أمثالـــه ممـــن كـــانوا معـــه في جيوشـــه، كمـــا أنـــه كـــان كثيـــرًا مـــا يســـتدعي حياتـــه الســـابقة ليعـــيش علـــى ذكرياتهـــا في هـــذه الوحـــدة في منفـــاه، بـــل وصـــل الأمـــر بـــه إلـــى حالـــة تشـــبه الجنـــون؛ فمـــرة يضـــحك، ومـــرة يبكـــي، ومـــرة يهفـــو للمســـتحيلات كـــالإفراج عنـــه أو الرجـــوع إلـــى مكانتـــه الســـابقة ورؤيـــة جنـــوده البســـلاء في حروبـــه، ولكـــن أَنَّـــى لـــه ذلـــك وقـــد أبدلتـــه الأيام من قوة النسر إلى وهن الحمامة الورقاء ...

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

ومما جاء في احتواء الهموم العظيمة له

أيُّ هَـــمٍّ بـــه وأيُّ عـــنـــاء ... فـوق هـذي الـجـزيـرة الـجـدبـاءِ؟
مـن لـه بـالـمـعـيـن في وحشـــة الأس ... ر، وأيـن الـمـعـيـن لـلـعـظـمـاءِ؟
غير صَـحْـبٍ أَبَوا – وقد شـاطروه ... فـخـره– أن يـكـون نـهـب الـقضـاءِ
وعَسِـيٌّ بـمـن يشـاطـرك السـ ... ـراءَ أن يـفـتـديـك في الضـراءِ
يـا لـهـم من غـطـارفَ كـالـنـجوم الـز ... هـر ، تـبـدو في الـلـيـلـة الـلـيـلاءِ
خـلـفـوا في ديـارهـم رغـدَ الـعـيـ ... ـش اشـتـيـاقًـا لـلـعـيشـة الـخشـنـاءِ
كـلـمـا أبصـروه حَـيَّـوْه بـالـدمـ ... ـعِ ، وأخـفـوا دمـوعَـهـم في الـرداءِ

ومما جاء في استدعاء حياته السابقة عن طريق حلم اليقظة قول الشاعر فيه: (٢)

مـن لـه بـالـمـعـيـن وهـو مـقـيـم ... في الـدجـى فـوق صـخـرة صـمـاءِ
عـابـس الـطـرف لا يُـكـلِّـمُ شـيـئًـا ... غـيـرَ هـوجِ الـريـاحِ والأنـواءِ
حـالـمـا بـالـجـيوش تـطـلـق كـالسـي ... ـل إلـى كـل غـارةٍ شـعـواءِ
لـتـبـدت لـه الـحـروبُ الـتـي مـر ... ت عـلـيـه في غـابـر الآنـاءِ
فـرأى جـنـده الـجـحـاجـح تـمشـي ... لـلـقـاءِ الـعُـدَاةِ مشـيَ الضِّـراءِ

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٦٠ .

(٢) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٦٠ ، ٦١ .

فـإذا بـالـعـروش تـهـوي إلـى الأر ض هُـوِيَّ الـبـنـاءِ تـلـو الـبـنـاءِ
وإذا بـالـمـلـوك يـبـغـون مـنـه الصـف حَ، والصـفـحُ شـيـمـة الـكـرمـاءِ

ومما جاء في وصف حالة نابليون الجنونية بهذه الجزيرة قول السنوسي: (١)

مـا تـراه يـنـوح حـتـى تـراه مشـرق الـوجـه ضـاحـكـا كـذُكَـاءِ
أتـراه يَـهَـش لـلـفـرح الـحـلـ ـو ، وهـيـهـاتَ مـعـجـزُ الأنـبـيـاءِ؟
أم تـراه يَـهَـش- رغـم وقـوف الـ ـيـمِّ سـدًّا - لـجـنـده الـبـسـلاءِ
إن عـيـن الـعـظـيـم تـخـتـرق الـحُـجْ بَ ولـيـسـت كـأعـيـن الـنُّـظـراءِ
يُـبْـصـر الـنسّـرُ وهـو في الـجـو مـالا تُـبْـصـر الـطـيـرُ وهـي في الـدأمـاءِ
أبـدلـتـه الأيـامُ مـن مِـرَّةِ الـنسـر بـوهـن الـحـمـامـة الـورقـاء

وأمـا النمـوذج الثـاني فهـو غليـوم قيصـر ألمانيـا وحاكمهـا الأشـهر مـن عـام ١٨٨٨ إلـى ١٩١٨ م ، ويسـمى في التـاريخ والواقـع الأوربـي ويلهلـم الثـاني، وفي تلـك الفتـرة التـي حكمهـا وقعـت الحـرب العالميـة الأولـى" ١٩١٤/ ١٩١٨م"، فكـان قائـدًا لألمانيـا ودول المحـور التـي تشـمل أيضًـا إيطاليـا وتركيـا والنمسـا وسـواها، وفي سـنوات هـذه الحـرب الأولـى اجتـاح بـلاد أوربـا شـرقًا وغربًـا، ودمـر جيوشـها ومـدنها، وقتـل وأسـر وأعـاق الملايـين مـن البشـر، وكـاد أن يـتم لـه النصـر، وأن يستسـلم لـه الحلفـاء بقيـادة انجلتـرا وفرنسـا لـولا أن تـدخلت أمريكـا في نهايـة عـام ١٩١٧م، ودعمـت هـذه الـدول بقـوة، ومـن ثـم تفوقـت عليـه، وتـم لهـا النصـر في عـام ١٩١٨م، وعلـى الفـور أجبـروه علـى التنـازل عـن العرش، ثم نفوه إلى هولندا، وظل بها أسيرًا حتى وفاته عام ١٩٤١م. (٢)

وقـد اسـتوحى السنوسـي قصـيدته "إلـى غليـوم" مـن الفتـرة الأخيـرة في حيـاة هـذه

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٦١ ، ٦٢ .

(٢) انظـر.أ/ جمـال الكاشـف: مقتطفـات مـن تـاريخ العـالم ص١٨٧ومـا بعـدها. وموقـع المعرفـة الإلكتروني مادتي: " غليوم ، والحرب العالمية الأولى ".

الشخصية ليقدم لنا من خلالها نموذجًا بشريًا آخر عن الطاغية السفاح ومدمر الكون الذي ينتهي مصيره إلى الأسر والمذلة والضعف والهوان، وليكون عظة وعبرة لأمثاله.

ومما يؤكد على ذلك أنه بدأ القصيدة بخطاب غليوم نفسه في بيان مآله السيئ وما أدى به إليه مثل الافتتان بالقوة والمجد وإزهاق الأرواح وهدم الحضارات ... يقول الشاعر: (١)

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

غليومُ ماعقبى الوغى والنضالْ؟ ... لابد للمفتون من ذا المآلْ
جُنِنْتَ بالقوة دهرًا فلم ... يَفْتِنْك في دنياكَ غيرُ النزالْ
وخِلتَ أن المجدَ لا يُبْتغي ... إلا إذا فاضت نفوسٌ غوالْ
وأصبح العالمُ في حَمْأَةٍ ... يجول فيها الموتُ أَيْمَا مجالْ
شوهاء ملأى من دماءٍ ومن ... نار لها في العالمين اشتعالْ
وَجُنَّتِ الدنيا ، وجُنَّ الورى ... وسادتِ الفوضى، وساد الخبالْ
حاولتَ أن تهدم في ساعةٍ ... كونًا تعالى في السنين الطوالْ
وتبتني كونًا جديدًا فما ... بنيتَ غيرَ الوهم فوق الرمالْ

ثم أخذ يدعو المغرورين والطغاة إلى تذكر حقيقة أن الدول والعروش سريعة الزوال، وأن ينظروا إلى غليوم في أسره حيث تجرد من تاجه، وتردى في مهاوى الزوال والنسيان ... لو أنهم فعلوا ذلك لرأوا نسرًا قويًا قد سقط من عليائه، وهوى للثرى، وسخرت منه أمانيه .. يقول الشاعر: (٢)

قل للأُلى غرهمو مُلكهُمُ: ... المُلْكُ في الدنيا سريع الزوالْ
قوموا انظروا غليومَ في أسره ... مجردًا من تاجه ذي الجلالْ
قوموا انظروا غليومَ في أسره ... وقد تردى في مهاوي الزوالْ

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ١٢٨.

(٢) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

تـروا عُـقَـابَـا قـد هـوى لـلـثـرى وتُـبْصـــروا سُـــخـرَ الـمـنـى بـالـرجـالْ
يـا عِـبـرةً مـا بـعـدهـا عـبـرةٌ تـفصـــل مـابـيـن الـهـدى والضـــلالْ

وهكـذا قـدم لنـا السنوسـي مـن خـلال هـذين النمـوذجين التـاريخيين رؤيتـه الفنيـة التـي تبـرز كـل واحـد منهمـا كطاغيـة ومتجبـر وسـفاح ومـدمر للـبلاد وشـواهد الحضـارة ثـم يسـوء مصـيره بسـبب ذلـك ويعـيش بقيـة حياتـه ذلـيلاً مهانًـا في أسـره ممـا يجعلـه نموذجًـا سـيئًا رديئًـا ينفر المتلقين وبخاصة الطغاة والمغرورين والسفاحين من هذا المصير.

الفصل الثاني
التشكيل الفني

صاغ شاعرنا عبد الحميد السنوسي نماذجه البشرية التي مر الحديث عنها بأدوات فنية كثيرة وآليات متعددة حتى بدت في قصائد شعرية غنائية متتابعة تحمل أفكاره ومعانيه الإنسانية وتقدمها للمتلقين، ومن أبرز هذه الأدوات والوسائل ما يلي:

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

١ – **اللغة والأسلوب**: وهما أداة الشعر وفنون الأدب بشكل عام، حيث تعتمد جميعًا على اللغة في التعبير والتصوير، ولا سبيل سواها عند الأديب في التفكير والشعور، فوسيلة الأدب هي اللغة، ومن هنا قيل في تعريف الأسلوب: "هو طريقة الكاتب الخاصة في اختيار الألفاظ بشكل يرتضيه الذوق، وتأليف الكلام بما يقتضيه العقل.

وطريقة استخدام اللغة تختلف من أديب لآخر، بل إنها تختلف لدى الأديب نفسه باختلاف الفن الذي يعالجه والموضوع الذي يطرقه؛ فاللغة في الشعر تختلف عن اللغة في القصة أو المسرحية أو النثر الفني وغيرها من الأنواع الأدبية " [١]

وإذا ما نظرنا إلى شعر النماذج البشرية لدى شاعرنا وطريقة استخدامه للغة والأساليب لوجدنا أن معظمه يقوم على استمداد الألفاظ العربية الأصيلة الواضحة، وكذلك الأساليب العربية الجزلة التي لا غرابة فيها ولا عامية، وهذا لا يمنع من تسرب بعض الألفاظ والأساليب الخشنة إليه من جراء تواصل الشاعر مع التراث في بداية حياته، وحفظه لكثير من نماذجه الأدبية.

ومما يمثل ذلك مقطوعة " المغرور" التي يحكي فيها أهم الصفات لدى هذا النموذج الاجتماعي العام، وقد جاء فيها: [٢]

---

(١) د/ ضياء الصديقي و د/ عباس محجوب : فصول من النقد الأدبي وتاريخه ص ٣٨ ، ٣٩ ط / دار الوفاء "المنصورة" عام ١٩٨٨م .

(٢) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٣٢ ، ٣٣ .

يرى نفسه فوق السماء وإنما ... يطير به فوق السماء غرورُ
ويحسب أن الناس طُرَّاً عبيدُه ... فكل كبير ما خلاه صغيرُ
يُطلُّ علينا من سماء غروره ... وكل الذي تحت السماء حقيرُ

فالألفاظ كما نرى قريبة واضحة مثل " يرى ، نفسه ، السماء ، غرور، يحسب ، عبيده، يطل، حقير .. إلخ، وكذلك الأساليب عربية جزلة مثل: يرى نفسه فوق السماء ، يطير به غرور، ويحسب أن الناس عبيده، كل كبير ما خلاه صغير، وكل الذي تحت السماء حقير وغيرها، ولم ترد ألفاظ غريبة سوى كلمة "طرا" التي تبعد عن غير المتخصصين.

وكذلك قوله في بداية قصيدته " الشاعر الصَّدَّاح " التي يقدم فيها للمتلقي صورة عامة عن هذا النموذج الإنساني الاجتماعي: (١)

يحنُّ إلى مرأى الرياض كأنه ... هَزَار ، له فيهنَّ ملهىً ومَمْرَحُ
وما الشاعرُ الصداحُ إلا كبلبلٍ ... يغرد في روض الحياة ويصدح
إذا بسمت دنياه، والدهرُ مقبلُ ... يغني، وروضُ العيش ريَّانُ مونقُ
يجود بألحان عِذَابٍ كأنَّها ... حَيَا تَقْشُبُ الأزهارُ منه وتورقُ
له نَغْمِةُ المَلَّاحِ في اليمِ صادحًا ... بأنشودةٍ تُشجِي العُبابَ وتُطْرِبُ
وبين أفانين الغصونِ ظلاَلُهُ ... يُغنِّي غناءَ الطير يلهو ويلعبُ

فالشاعر العظيم كما يبدو من الأبيات هو من يحن إلى مشاهد الطبيعة، ويتمثل بالهزار والبلبل في تغريدهما، وهو من يغني إذا بسمت دنياه، وأقبل الدهر، وله أيضًا نغمات تشبه صوت الملاح العذب في مركبه باليمِ ... وقد جاء ذلك كله في لغة سهلة وأسلوب رومانسي عذب قريب من المتلقين، وليس فيه ما يصعب فهمه أو يحتاج إلى تفسير.

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٨٦ ، ٨٧ .

ولعل هذه السهولة في شعر النماذج البشرية لدي شاعرنا ترد إلى ما يلي:

- الطبيعة القصصية السردية التي يقوم عليها هذا الشعر عنده كما سنعرف فيما بعد، فهي تحتاج دائمًا إلى هذه النوعية من اللغة والأساليب لإحداث التواصل، وسرد المعاني.

- أن هذا الشعر ينتمي إلى المرحلة الثانية في حياة السنوسي الشعرية، وهي المرحلة الرومانسية البحت التي اعتمد فيها على الموضوعات الجديدة واللغة غير التراثية التي تناسب العصر. (١)

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

*السرد والحوار: وكذلك من الطرق الفنية التي سلكها شاعرنا في بناء نماذجه البشرية هنا اعتماده على السرد والحوار في الأسلوب ، والسرد هو نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية، وله ثلاث طرق: الطريقة المباشرة أو الملحمية، وطريقة السرد الذاتي، وطريقة الوثائق، وفي الأولى يكون الكاتب مؤرخًا يسرد من الخارج، وفي الثانية يكتب على لسان المتكلم، وفي الثالثة يكون السرد عن طريق الخطابات أو اليوميات أو الحكايات والوثائق. (٢)

وقد استعار الشاعر هذا الأسلوب السردي في قصائده هنا لأنها تشبه القصص في حكى الصفات والأخلاق وبعض المواقف التي يريد أن يقدمها عن الشخصية لتمثل رؤيته الفنية والإنسانية لها، على أنه استعمل طريقتين فقط من طرقات السرد الثلاث المشار إليها آنفًا وهما: **الطريقة المباشرة** حيث قام الشاعر نفسه بالحكي عن نماذجه من الخارج وكأنه يمثل دور الراوي أو المؤرخ في الحكي عنها، وجاء ذلك في أعماله: المغرور"د/ ص ٣٢، ٣٣" والنفوس الكبيرة " د/ ص ٤١" ونابليون في القديسة هيلانة "د/ ص ٦٠ : ٦٥" والممثل "د/ ص ٨٠ ، ٨١" والشاعر الصداح "د/ ص ٨٦ / ٨٨ " والحاسد " د/ ص ٩٨" وذكرى الإمام محمد عبده "د/ ص ١٢٤" وإلى غليوم "د/ ص ١٢٨ ، ١٢٩ " وغيرهما.

---

(١) انظر / مقدمة شعر السنوسي ص ٩ وما بعدها .

(٢) انظر د/ عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه ص ١٨٨،١٨٧ ط/ دار الفكر العربي رقم٧ عام ١٩٧٨م.

وقد رأينا معظم هذه الأعمال عند عرضها فيما سبق، وللتأكيد أيضًا يقول الشاعر عن النفس الطموح: (١)

تُحَلِّقُ فوق نجوم السماءِ ... وتجرع من ضوئها المترعِ
وتهوى العلاءَ فتشقى به ... وحبُّ العلاَ مصرعُ الأروعِ
وليس طماح النفوس سوى ... عذاب النهى وجوى الأضلعِ
ولو بلغ المرءُ هامَ السماكِ ... لرامَ المزيدَ ولم يقنعِ
ولولا المطامعُ عاش الورى ... قطعيًا من البَهْمِ في بلقعِ

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فالشاعر كما نرى يسرد الصفات الخاصة بهذه الشخصية من الخارج، ويقدمها بنفسه للمتلقين كنموذج في مجالها، وقد اعتمد سرد الأفعال والصفات هنا على الفعل الذي يصف هذه الشخصية من الخارج مثل " تحلق ، تجرع ، تهوى، تشقى به .. "مما يؤكد على استعماله لهذه الخاصية السردية في أسلوبه، وكذلك فَعَل في كل الأعمال التي أشرنا إليها آنفًا.

كما استعمل الشاعر **طريقة السرد الذاتي**، وهي التي يترك فيها الشاعر النموذج ليقدم صفاته الإنسانية بنفسه في القصيدة، ويتحدث عن ذاته، وهو بذلك يلتحم بهذه الشخصية، ويتكلم على لسانها، من هذا النوع أعماله: الأعمى "د/ ص ٣٨، ٣٩" والمجنون التائه "د/ ص ٤٢" ووداع آدم للفردوس" د/ ص ١٢١:١١٧" وغيرها.

فحينما نقرأ هذه الأعمال نجدها تحكي مواقف وأحوال هذه النماذج التي تثبت رؤية الشاعر الفنية لها، والذي يحكيها هو النموذج ذاته والشاعر يختبئ وراءَه، ولذلك قيل عنها في النقد: السرد الذاتي، ويمثل هذا قول الشاعر على لسان المقهور في قصيدة "المجنون التائه": (٢)

ألا ليتني بين المفاوز هائم ... أوَ انِّيَ في شم الجبال مسيمُ
فأهجر هذا العيشَ هجرةَ زاهد ... هل العيش إلا شقوة وهموم ؟

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٤١ .

(٢) شعرعبد الحميد السنوسي ص ٤٢ .

أجوبُ رحيب الأرض والكون واسع وأهرب من هذا الورى وأهيم
أهيمُ كأني قد أُصبتُ بِجِنَّةٍ أو انِّيَ من ناب الحياة سليم

ففي هذا المقطع نرى أن المقهور يعبر عن ضيقه بالواقع الذي يعيشه، ويريد الخلاص منه إلى أي مكان يكون فيه نجاته، حتى ولو كان ذلك بين المفاوز أو في أعالي الجبال أو في الأرض الخلاء الواسعة .. وقد جاء هذا بأسلوب سردي ذاتي يقوم على الأفعال التي تسند إلى ضمير المتكلم: أهجر، أجوب ، أهرب ، أهيم ، وكذلك الحروف اللغوية المسندة إلى ياء المتكلم مثل: ليتني، إني ، كأني ، وهكذا فعل في قصيدة الأعمى وقصيدة وداع آدم لجنة الفردوس.

وكذلك استخدم الشاعر في أسلوبه **تقنية الحوار** في بناء بعض النماذج، وقد أتى مرة على لسان النموذج نفسه، وأخرى على لسان الشاعر، ولكن هذا الحوار كان قليلاً بالنسبة إلى السرد في هذا الشعر لدى السنوسي، ومعروف أن للحوار أهمية كبرى في الأسلوب، فهو يعبر عن الأديب، ويسهم في التخفيف من رتابة السرد وإراحة القارئ وبيان الحالة النفسية والعاطفية والوجدانية.(١)

ومما جاء على لسان النموذج لبيان حالته وشعوره حث سيدنا آدم عليه السلام لمُرَافِقَيْهِ على التريث به قليلاً قبل مغادرة الجنة لتوديعها؛ مما يدل على حزنه فيما يلي: (٢)

قفا بي قليلا في رباها مودعا مقاصيري اللآتي بها والمغانيا
قفا بي فقد حُمَّ الغداةَ تَرَحُّلٌ وقد شاء رب الكون ألا تلاقيا

وقوله أيضًا في مخاطبة بنيه لرفع اللوم عنه عندما تحل بهم الشدائد وعدم غضبهم منه لأنه أشد عذابًا منهم ما يلي: (٣)

بَنِيَّ إذا الدنيا دهتكم شئونها ولا قيتموا أحداثها والعواديا
فلا تغضبوا ممن رماكم إلى الردى كفاني ما عاناه قلبي كفانيا

(١) انظر د/ ضياء الصديقي ود/ عباس محجوب : فصول من النقد الأدبي وتاريخه ص ٢٨٨ .
(٢) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١١٨ .
(٣) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١١٩ .

ولا تنقموا أني نعمت لياليا بعيشي في الفردوس جذلان لاهيا
فإن نعيمَ المرءِ أصل شقائه ومن لم يذق غيرَ الأسى عاش راضيا
ولا تقنطوا من رحمة الله،إنه يراكم، وصبرًا، إن في الصبر شافيا

وهذا كله مما يكشف به الشاعر عن حالة الحزن والضيق لدي شخصية سيدنا آدم عليه السلام، ويبين عما بداخله من الهم عند هبوطه إلى الأرض.

ومما جاء من الحوار على لسان الشاعر في مخاطبة غليوم للتقريع والسخرية وإظهار الشماته فيه لما فعله من السفك والتدمير ما يلي: [١]

غليومُ ماعقبى الوغى والنضالْ؟ لابد للمفتون من ذا المآلْ
جُنِنْتَ بالقوة دهرًا فلم يفتنك في دنياك غيرُ النزالْ
وخِلْتَ أن المجدَ لا يُبتغى إلا إذا فاضتْ نفوسٌ غَوَالْ

وكذلك ما جاء في نفس القصيدة من حوار على لسان الشاعر في مخاطبة المتلقي لأخذ العبرة من قصة غليوم هذا ما يلي:[٢]

قل للأُلي غرهمو ملكهم: الملك في الدنيا سريعُ الزوالْ
قوموا انظروا غليومَ في أسره مجردًا من تاجه ذي الجلال
قوموا انظروا غليومَ في أسره وقد تردى في مهاوي الزوالْ
تروا عُقَابًا قد هوى للثرى وَتُبْصِروا سخرَ المنى بالرجالْ

٢ – **المعاني والأفكار**: الأفكار من العناصر المهمة في الأدب والشعر "والأدب الذي ينقصه الفكرة أدب ميت خامل ضعيف، لأن الأدب ليس أسلوبًا وتعبيرًا فحسب، بل لابد أن يضيف إلى معلوماتنا جديدًا عن الكون والحياة والوجود والناس، ويجب أن تكون الأفكار والمعاني في الأدب واضحة ليس فيها لون من التعقيد المعنوي، كما يجب أن تكون صحيحة جديدة دقيقة

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١٢٨ .

(٢) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١٢٨ ، ١٢٩

فياضة.." [١]

وليس معنى ذلك أن تطغى الفكرة على كل عناصر الشعر الأخرى، وبخاصة العاطفة، لأنه إن حدث ذلك أصبح الشعر جافًا يشبه المنظومات العلمية، أو كما قال بعض النقاد: نظم عقل لا شعر قلب مثل كثير جدًا من شعر العقاد والزهاوي والنجفي وغيرهم. [٢]

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وقد شكل شاعرنا السنوسي معانيه وأفكاره في شعر النماذج البشرية من الصفات والأخلاق والمبادئ والمواقف المثالية للشخصيات الاجتماعية المطلقة أو من السير الشخصية لدى الرواد الحقيقيين في الدين والتاريخ لتمثل بعد ذلك رؤيته الإنسانية العامة عن كل نموذج أو شخصية منها سواءً أكانت مستمدة من الحياة الاجتماعية كالمغرور والأعمى والممثل والشاعر والحاسد والأخ أم من الحياة الدينية كسيدنا آدم عليه السلام والإمام محمد عبده أم من الحياة التاريخية العامة كنابليون وغليوم، وعلى ذلك يمكن تقسيم هذه المعاني والأفكار إلى قسمين هما:

- معاني وأفكار جزئية: وهي المتمثلة في الصفات والأخلاق والمواقف المثالية لكل نموذج أو شخصية في قصيدته.

- معاني وأفكار كلية: وهي التي تمثل الرؤية الفنية العامة للسنوسي لكل نموذج والمترتبة على المعاني السابقة.

ولهذه المعاني الشعرية عامة والتي يضمها شعر النماذج البشرية لدى السنوسي عدة سمات وخصائص من أهمها ما يلي:

* **السهولة والوضوح**: فالمتلقي لشعر النماذج البشرية عند هذا الشاعر يجد معانيه سهلة لا تعقيد فيها ولا غموض، واضحة لا شطط فيها ولا زلل، بل هي من المعاني المتداولة عن كل شخصية

---

(١) د/ محمد عبد المنعم خفاجي : مدارس النقد الأدبي الحديث ص ٥٠ ط / الدار المصرية اللبنانية رقم ١ عام ١٩٩٥م .

(٢) انظر أ/ مصطفى السحرتي : الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ١٠٤ ط / مطبعة تهامة (جدة) رقم ٢ عام ١٩٨٤م .

في الواقع الاجتماعي أو الديني أو التاريخي، وقد اختارها الشاعر بعناية، واستعملها بدقة وفهم، وأضفى عليها من لمساته الفنية لتبدو على هذه الشاكلة البارزة داخل هذه الأعمال.

ومما يمثل هذه الخصيصة قوله في الإمام محمد عبده ما يلي: (١)

لقد قام في مصر يجدد دارسًا ... ويبعث أمواتا، ويوقظ هجدًا

مضى يبتني مجدًا على الدهر خالدًا ... فلله ما أبقاه فينا وخلدا

ولله عزم لا تفل شباته ... رماه على جيش الضلال فبددا

وما كان إلا شعلةً قدسيةً ... أضاءَت سبيلاً كان كالليل أسردا

فلم تزد الأفهامَ إلا حصافة ... ولم تزدِ الأرواح إلا توقدا

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

ففي هذا المقطع الشعري تبدو المعاني واضحة سهلة أمام المتلقين عن شخصية الإمام محمد عبده ، فهو إمام مجدد في الدين ومعلم للناس وباعث للوعي ومشارك في حضارة بلده وأمجادها، ورائد وقدوة لغيره من الناس في بلاده .. والشاعر بذلك كله يمهد لجعله نموذجًا إنسانيًا في مختلف الأديان والأوطان في الإصلاح والتغيير القائمين على العلم والمعرفة والرؤية الثاقبة.

* **الواقعية والانتقاء**: ومعنى ذلك أن السنوسي استمد معانيه في شعر النماذج البشرية من الواقع الحياتي للنماذج التي تعرض لها، لكنه لم يعرض كل ما ورد عنها في سجل الواقع الاجتماعي أو الديني أو التاريخي؛ فقد انتقى منها المشاهد والصفات أو المواقف التي تخدم رؤيته الإنسانية العامة للنموذج، وتتوافق مع طبيعة الشعر الغنائي الذي يعالجه، وهي تقوم على الإيجاز والتركيز.. وهذا نوع من التوظيف الفني للشخصيات في الأدب، ولا يحدث ذلك إلا من أديب واعٍ بما يدور في الواقع، وبما يجب أن يختاره من السير ليجعله نموذجًا إنسانيًا في أدبه.

وقد حدث ذلك في كل نماذجه تقريبًا، ومنها نموذج نابليون في القديسة هيلانة؛ فقد اختار من واقعه التاريخي مشهد الغربة والنفي والإبعاد ليبين بعضًا من المواقف الذليلة التي تعرض لها هذا الإمبراطور السفاح المدمر ليكون نموذجًا إنسانيًا لهؤلاء الطغاة في

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١٢٤ .

زمنه وبعده، ومما ورد في هذا المشهد الأخير قول الشاعر عن الحياة الصعبة والبائسة لدى نابليون في تلك الجزيرة القاحلة النائية ما يلي: (١)

من له بالمعين وهو مقيم ... في الدجى فوق صخرةٍ صَمَّاءِ؟
عابسَ الطرف لا يُكَلِّمُ شيئًا ... غيرَ هوج الرياح والأنواءِ
حالمًا بالجيوش تطلق كالسي ... ل إلى كل غارة شعواءِ
لتبدت له الحروب التي مر ... ت عليه في غابر الآناءِ

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وهذه المعاني التي عرضها الشاعر لنابليون هي الوحدة والهم والضيق والسكوت وعدم الكلام والاسترسال مع حلم اليقظة لاسترجاع الماضي والذكريات الحربية .. إلخ

* **الترابط والتآزر**: حرص السنوسي في شعر النماذج البشرية على أن تكون المعاني في أغلب القصائد دائرة حول الشخصية التي يتناولها، وأن تكون مترابطة يجمع بينها خيط رفيع لتكون في النهاية أعمالاً فنية ذات موضوع واحد، وقد ساعده على ذلك طبيعة الموضوع التي تدور حول شخصية معينة، ثم تأثره الكبير باتجاهات وآراء وفكر رواد التجديد عندنا مثل شكري والعقاد والمازني؛ الذين كانوا يدعون إلى الوحدة العضوية في قصائد الشعر منذ بدايات القرن العشرين.

وقد تحقق ذلك بصورة كبيرة في المقطوعات والقصائد الشعرية القصيرة، أما القصائد الطويلة فمنها ما كانت تقوم على وحدة الموضوع وترابط المعاني، ومنها ما كانت تخرج عن أصل الموضوع إلى استطرادات جانبيه كالتعليق على ما ورد عن الشخصية النموذج، وقد حدث ذلك في قصيدته خروج آدم من الفردوس، حيث علق على كلامه في الحث على الصبر لأبنائه في الدنيا، فقد عرض هذه الوصية، وبين أنه جربها فلم تفد معه، كما علق على سعي الإنسان، فوجده ينتهي عادة بالموت في الدنيا دون فائدة

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٦٠ .

سوى عمارة الكون والحياة. (١)

ومن أمثلة النماذج الشعرية التي حققت الترابط والتآزر في المعاني قوله في قصيدته القصيرة الحاسد: (٢)

وكم من حاسدٍ خبٍّ لئيمِ ؟ يريك سذاجة الطفل الصغير
وتحت ضلوعه ضبٌّ كمينٌ وأفعى تنفث الموت الزؤاما
يُقَطَّعُ قلبُه في كل يومٍ ويزبدُ مثلما ثار العباب
تطايرُ من محاجره شرارٌ وتخرج منه أنفاسُ السّموم
تكاد تحس نارَ البغض تغلي بأضلعه ، ويلفحك السعير
يعيش الدهرَ مسمومًا عليلا ويفري قلبه الداءُ الدخيل
وينظر هذه الدنيا بعينٍ يهيج قاذتها ريحُ الحقود

فالمعاني والأفكار في هذه القصيدة – كما نرى – تدور حول شخصية النموذج، وتتناول أهم الصفات والمعاني الخاصة بها مثل الخداع واللؤم وادعاء البراءة واشتعال الداخل نحو الآخرين، وتقطع القلب وتطاير الشرر تجاههم وإحساس الناس بنار قلبه وحياته المسمومة العليلة ونظراته الحاقدة ... وقد اجتهد الشاعر في نظم هذه المعاني داخل النص الشعري حتى بدت القصيدة متحدة الموضوع مترابطة المعاني والأفكار إلى حد بعيد.

وكذلك فعل شاعرنا في معظم قصائده الأخرى في هذا الموضوع الشعري الجديد الذي أولاه عنايته، واجتهد في جمع معانيه وأفكاره، وقام بعرضها وتنظيمها داخل كل عمل فيه، ومن ثم تحققت الوحدة الموضوعية التي تعني أن تدور معاني القصيدة حول موضوع واحد فقط ، ويكون موضوعها محددًا، كما يكون لها عنوان يدل على

(١) انظر القصيدة ص ١١٩ / ١٢١ .

(٢) انظر شعر عبد الحميد السنوسي ص ٩٨ .

هذا الموضوع. (١)

* **مزج المعاني بالخيال**: عرض السنوسي معانيه وأفكاره في شعر النماذج البشرية ممزوجة ببعض ألوان الخيال التي تصور عاطفته وتوجز معانيه أولاً، ثم ليثير بها عواطف المتلقين، ويشد انتباههم إليه ثانياً؛ فشعره هذا يجمع بين الفكرة والعاطفة والحقيقة والخيال، وهذا شأن الشعر الراقي دائمًا؛ حيث يجمع بين الإفادة والتأثير وتغذية العقول والقلوب، ومنهجه أمر مطلوب، ومما يؤيد ذلك قول بعض النقاد" إن أضواء الفكر لابد أن تشع في ظلال القصيد، على ألا تطغى الأنوار على الظلال فتبيدها، وبمعنى آخر ألا تطغى الفكرة على العاطفة، وإلا كان القصيد نظمَ عقل لا شعرَ قلب" (٢)

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

ولو أننا ذهبنا إلى أي عمل لدى السنوسي في هذا الموضوع لوجدناه يركز على المعاني والأفكار ثم يستعين ببعض ألوان الخيال التي تسري في جنباته، وتلمع في أنحائه، ومنها قوله في الشاعر الصداح ما يلي: (٣)

ويصبو إلى شدو الطيور فؤاده ... ويقبس منها الشعر وهو نشيدُ
ويصغى إلى صوت الطبيعة واجما ... إذا ما تغنت في السماء رعودُ
تغافل عن لؤم الحياة ومينها ... وقد يغفل الإنسان عما يحاذرُ
وهل يَنْفَعنَّ المرءَ حِلمٌ وفطنةٌ ... إذا داهمته النائباتُ الجوائرُ
لقد طالعته النائباتُ فجاءَة ... وحلت به البأساء والدهر غادر
فصار حزينًا نادبًا صفو عيشه ... وأي معين في الشقاء يؤازر؟

(١) انظر د/ محمد صالح الشنطي : في النقد الأدبي الحديث ص ٣١٧ ط / دار الأندلس " حائل " رقم ١ عام ١٩٩٩م .

(٢) أ/ مصطفى السحرتي : الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ١٠٤ .

(٣) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٨٧ ، ٨٨ .

يـؤمـل أن يـحـيـا وحـيـدًا بـمـعـزلٍ عـن الـنـاس، إن الـعـالـمـيـن ذئـاب

وكـل امرئ في العيش يسـعى لغـايـة ولـكـن آمـال الـنـفـوس سـراب

فهو هنا يركز على الحقائق والمعاني المتصلة بنموذج الشاعر، ومن أهمها الميل إلى الطبيعة ومظاهرها المختلفة، ومنها شدو الطيور وصوت الرعود، والابتعاد عن لؤم الحياة والمآسي فيها؛ لكنها تدركه أيضًا، وتصيبه بالحزن ، فيندب حظه ، ويبكي صفو عيشه ... وقد استعان في أثناء ذلك ببعض صور الخيال حتى يخفف من حدة هذه الحقائق، ويثير العواطف لدى المتلقين، ويغذي عقولهم وقلوبهم، ومن أهم الصور الخيالية هنا التشبيه مثل: "وهو نشيد ، الدهر غادر ، إن العالمين ذئاب ، آمال النفوس سراب "

ومنها الاستعارة مثل قوله : " تغنت في السماء رعود ، وتغافل عن لؤم الحياة ومينها ، طالعته النائبات فجاءَة ، وحلت به البأساء "

وهكذا صنع شاعرنا في كثير من أعماله الشعرية في هذا الموضوع.

٣- **الصورة والخيال**: الصورة من أهم مقومات الشعر وعناصره، ولها تعريفات كثيرة لدى النقاد والمفكرين من أبرزها قول داي لويس إنها " رسم قوامه الكلمات" (١)

ومن تعريفاتها كذلك قول بعضهم" الصورة الشعرية في أبسط تعريف لها هي نقل تجربة حسية أو حالة عاطفية من الشاعر إلى المتلقي في شكل فني تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة" (٢)

وهذه الصورة قد تكون مشهدًا أو مقطعًا في القصيدة الشعرية، وقد تشمل القصيدة من

(١) نقلا عن أ/ عبد العزيز موافي: الرؤية والعبارة ص ٤٣٠ ط / الهيئة العامة للكتاب رقم ١ عام ٢٠١٠ م مكتبة الأسرة "

(٢) د/ محمد علي هدية: الصورة في شعر الديوانيين بين النظرية والتطبيق ص ٤٧ ط / المطبعة الفنية عام ١٩٨٤م .

أولها إلى آخرها، ولها أجزاء ومكونات كثيرة من أبرزها الخيال الذي يتمثل في أدوات التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وحسن التعليل والمبالغة وسواها. (١)

وللخيال دوره المهم في التشكيل الشعري يتمثل في إبراز الخبئ، وكشف الأستار والحجب، وتشخيص المتخيل، وتجسيم المتوهم، وإحضار الغائب ماثلاً للحس والعيان؛ قطعًا لحجة من يماري أو يشك، وتقريبًا للقارئ إلى دائرة التسليم والإقناع.(٢)

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وقد استعان السنوسي بالصورة والخيال في تشكيل نماذجه البشرية، فلم تكن سردًا لحقائق ومعلومات فقط عن الشخصيات التي تعرض لها؛ بل كانت تضم إليها هذا العنصر الخيالي الفني أيضًا الذي يوجز المعاني، ويثير العواطف، ويسهم في تقريب الحقائق، ويجعلها ماثلة أمام المتلقين.

أما عن أبرز السمات والخصائص للصور والأخيلة في هذا الموضوع الشعري لدي السنوسي فكثيرة، من أبرزها ما يلي:

* **القرب والوضوح**: فصوره وأخيلته في هذا الجانب من شعره قريبة من أذهان المتلقين واضحة أمامهم لا تحتاج إلى تأمل كبير أو كد ذهن في فهمها وبيان أجزائها، والمراد منها، ولذلك أدت المطلوب منها في تقديم الحقائق في ثوب شفاف؛ لا هو يسترها إلى درجة الغموض، ولا هو يبديها حتى لا يعود معها لذهن القارئ عمل.

ومما يؤكد على ذلك قوله في بيان الإصلاحات المتعددة الرفيعة التي قدمها الإمام محمد عبده، وإظهار دوره القوي والمؤثر في الحياة الدينية والاجتماعية والفكرية في مصر في هذا المشهد الموجز المصور: (٣)

---

(١) انظر/ د. عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث ص ٥٣ .

(٢) انظر/ د. طه أبو كريشة : أصول النقد الأدبي ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٣) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١٢٤ .

لـقـد قـام في مصـــر يـجـدد دارسًـــا ... ويـبـعـث أمـواتًـا ويـوقـظ هـجـدا
مضـــى يبتنى مجدًا على الدهر خـالـدًا ... فـلـلـه مـا أبـقـاه فـيـنـا وخـلـدا
ولله عـــزم لا تَـفِـلُّ شـــبـاتُـهُ ... رمـاه عـلـى جـيـش الضـــلال فـبـددا
ومـا كـان إلا شـــعـلـةً قـدسـيـةً ... أضـــاءت سـبيلاً كان كالليل أسـودا
فـلـم تـزد الأفـهـامَ إلا حصـــافـةً ... ولـــم تـــزد الأرواحَ إلا تـــوقـدا

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فقد استعان في هذا المشهد كما نرى ببعض الأخيلة القريبة مثل التشبيه في قوله " وما كان إلا شعلة ، كان كالليل أسودًا " ثم الاستعارة في قوله " يبعث أمواتًا ، يوقظ هجدًا ، عزم لا تفل شباته ، رماه على جيش الضلال " وغير ذلك من الأخيلة القريبة المتناثرة داخل الأبيات.

ومن الصور القريبة أيضًا قوله في بيان ما حدث لغليوم الطاغية بعد أسره ما يلي: [1]

قـومـوا انـظـروا غـلـيـوم في أســـره ... مـجـرداً مـن تـاجـه ذي الـجـلالْ
قـومـوا انـظـروا غـلـيـوم في أســـره ... وقـد تـردى في مـهـاوي الـزوالْ
تـروا عُـقَـابًـا قـد هـوى لـلـثـرى ... وتبصـــروا ســـخر المنى بـالـرجـالْ
يـا عـبـرةً مـا بـعـدهـا عـبـرةٌ ... تفصـــل مـا بين الـهـدى والضـــلالْ

فهـو يصـور نهايـة هـذا القيصـر الـذي طغـى وقتـل ودمـر وأبـاد، فقـد وقـع أسـيراً وتجـرد مـن تاجـه العظـيم، وتـردى في مهـاوي الفنـاء، وهـو في هـذه الحالـة السـيئة والمصـير المهـين مثـل عُقَـاب قـوي جـارح حـاد البصـر لا يطيـر إلا في الأعـالي لكنـه هـوى ذلـيلاً إلـى الأرض، كمـا أن أمانيـه وأطماعـه الفاسـدة التـي حـرص عليهـا كثيـراً سـخرت منـه، ولـذلك كلـه أصـبح عبـرة كبـرى وعظـة بليغـة لكـل المماثلين له.

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص١٢٨، ١٢٩.

ولا يخفى على المتابع أن الشاعر استعان بصور الخيال الجزئية ومن أهمها الاستعارة في الجمل التالية: " تروا عقابًا، تبصروا سخر المنى بالرجال، تفصل ما بين الهدى والضلال"

* **الحسية والحرفية**: بمعنى أن يأتي السنوسي للشيء أو الحقيقة المراد تقديمها عن النموذج الذي يتحدث عنه بالصورة الحسية المدركة بإحدى الحواس الخمسة والموازية له والمتطابقة معه جزئيًا وكليًا. (١)

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وقد رأينا كثيرًا من هذه الصور فيما سبق آنفًا، وللتأكيد أيضًا نذكر صورته لزملاء نابليون من القادة الذين لم يتركوه في محنته، بل صاحبوه في هذه الجزيرة الجدباء النائية، وتعاطفوا معه، وأشفقوا عليه ... قدم الشاعر ذلك كله في صورة حسية تفصيلية فقال: (٢)

يا لهم من غطارفَ كالنجوم الز ... هر تبدو في الليلة الليلاءِ
خلفوا في ديارهم رغد العي ... ش اشتياقًا للعيشة الخشناءِ
كلما أبصروه حَيَّوهُ بالدم ... ع، وأخفوا دموعهم في الرداءِ
خشية أن يرى مدامعهم تجـ ... ري ، فيهتاج للأسى والبكاءِ
أيُحَيَّى السجينُ يرسفُ في القيـ ... د ذليلاً تحية الأمراءِ ؟

فهؤلاء القادة الغطارف "الأمجاد" من أصحابه كانوا معه في محنته بهذه الغربة الموحشة كالنجوم الزهر في الليلة الظلماء، وتركوا رغد العيش في بلادهم اشتياقًا لمرافقة صديقهم وموآزرته في شدته ومحنته، وقد كانت تحيتهم له حينما يطلع عليهم البكاء إلا أنهم كانوا يخفونه عنه حتى لا يهتاج هو الآخر للأسى والبكاء، وكيف يحيونه تحية الأمراء وهو في هذه الحالة؟

وفي بداية هذه الصورة أتى التشبيه الحسي الحرفي الذي يدرك بالعين، ويتطابق فيه المشبه مع

(١) انظر د/ عز الدين إسماعيل : الأدب وفنونه ص ١٤١ .

(٢) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٦٠ .

المشبه به ، فالغطارف من الأمجاد والسادة أصحاب نابليون كانوا معه في هذه المأساة أثناء النفي كالنجوم الزهر التي تبدو في أحلك الليالي.

ومن صوره الحسية أيضًا قوله في نابليون بالأسر بعد ذلك ما يلي: (١)

ما تراه ينوح حتى تراه مشرق الوجه ضاحكًا كذكاءِ

فهو كالمجنون الذي لا يستقر على حالة، فبينما تراه يبكي حزنًا على وضعه حتى تراه متهلل الوجه ضحوكًا كالشمس المشرقة، وهي صورة حسية حرفية اجتهد الشاعر في اختيارها وجعلها متطابقة ومتوافقة بين الطرفين المشبه والمشبه به الحسيين.

ولعل هذه الحسية والحرفية كانت من أثر قراءاته وحفظه لكثير من الأشعار التراثية في بداية حياته، فالشعر العربي القديم ومثيله عند المحافظين والمجددين في الفترة الأولى كانت أغلب صوره تقوم على هذه الأسس الفنية. (٢)

٤ – **الوزن والموسيقى**: الوزن من أبرز خصائص الشعر، فلا يوجد شعر دون وزن معين يسري في أبياته وقصائده، وهو يقوم على مراعاة نظام خاص من المقاطع الصوتية والتفاعيل الشعرية التي تتردد بإحكام داخل القصيدة لتحدث في النهاية الموسيقى التي تجذب المتلقي إليها، وتأخذ بلبه لمتابعة الأبيات حتى النهاية.

ولأهمية هذا العنصر كان" الفارق الجوهري الذي لا يختلف عليه النقاد في التفرقة بين الشعر والنثر، فرغم التعريفات الكثيرة التي قدمت لتوضيح ماهية الشعر، وركزت على العاطفة أو الخيال، احتفظ الوزن بقيمته الثابتة في التمييز بين هذين الشكلين من أشكال التعبير الفني" (٣)

ولأهميته كذلك قال ابن رشيق في العمدة: " الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٦١ .

(٢) انظر د/ عز الدين إسماعيل الأدب وفنونه ص ١٤٠ وما بعدها .

(٣) د/ عبد الفتاح عثمان: نظرية الشعر في النقد الأدبي القديم ص ٢٣٢ ط/ دار الثقافة العربية عام ١٩٩١م.

خصوصية ". [1]

وموسيقى الشعر تنقسم إلى قسمين: خارجية وتتمثل في الوزن والقافية ثم داخلية ولها وجوه كثيرة مثل مراعاة الألفاظ الموحية وكذلك التكرار والطباق والجناس والمقابلة والتورية وسواها.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وحينما ننظر إلى شعر النماذج البشرية لدى السنوسي نجد أنه قد راعى الموسيقى في شكله العام وفي مضمونه، وفيما يلي عرض ودراسة لهذه العناصر الموسيقية التي اشتمل عليها:

أولاً الموسيقى الخارجية: وهي تتمثل في الأوزان والقوافي المستعملة على النحو التالي:

م	القصيدة	الوزن	القافية	عدد الأبيات	ملاحظات
١	المغرور	الطويل	رائية	٣	مقطوعة شعرية
٢	الأعمى	الطويل	رائية	١٨	
٣	النفوس الكبيرة	المتقارب	عينية	٥	مقطوعة شعرية
٤	المجنون التائه	الطويل	ميمية	١٠	
٥	نابليون في هيلانة	الخفيف	همزية	٢٨	
٦	الممثل	الطويل	ميمية	١٦	
٧	الشاعر الصداح	الطويل	متعددة	٢٠	
٨	الحاسد	الوافر	متعددة	٧	
٩	يا أخي	الطويل	نونية	٤	مقطوعة شعرية
١٠	وداع آدم للفردوس	الطويل	يائية	٤٤	
١١	الإمام محمد عبده	الطويل	دالية	١٠	
١٢	إلى غليوم	السريع	لامية	١٧	ساكنة الروي

(١) ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر جـ١ ص ١٣٤ ت أ/ محمد محيي الدين عبد الحميد ط/ دار الجيل.

ومن خلال هذا الجدول الإحصائي للجانب الموسيقى في شعر النماذج البشرية لدي السنوسي تتضح عدة حقائق من أبرزها ما يلي:

أ – أن الوزن الذي قام عليه هذا الشعر من النوع الأصيل؛ فلم يخرج عن تلك البحور التي حصرها الخليل بن أحمد الفراهيدي لشعرنا العربي القديم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أصالة السنوسي واعتزازه بتراثه الشعري، وقيمه ومبادئه، كما يدل على ذوقه الأصيل وإيثاره لكل أدواته ومن أبرزها الأوزان والبحور الشعرية القديمة.

وكما هو متوقع لم يستخدم الشاعر كل البحور والأوزان القديمة، حيث ركز على خمسة منها فقط في هذا النوع من الشعر؛ هي الطويل " ٨ مرات" وأربعة بحور استخدم كل واحد منها مرة واحدة فقط وهي: المتقارب في مقطوعته: النفوس الكبيرة ، والتي بدأها بقوله: (د/ ص ٤١)

تُحَلِّقُ فوقَ نجومِ السماء وتَجْرَعُ من ضوئها المترع

ثم البحر الخفيف في قصيدة : نابليون في القديسة هيلانة التي بدأها بقوله: (د/ ص ٦٠)

أيُّ هم به وأيُّ عناءِ فوق هذي الجزيرة الجدباءِ؟

ثم البحر الوافر في قصيدته القصيرة المرسلة "الحاسد" وقد بدأها بقوله: (د/ ص ٩٨)

وكم من حاسدٍ خِبٍّ لئيمِ يريك سذاجةَ الطفل الصغير؟

وأخيرًا البحر السريع الذي وردت عليه قصيدة: إلى غليوم، وقد بدأها بقوله: (د/ ص ١٢٨)

غليومُ ما عقبى الوغى والنضالْ ؟ لابد للمفتون من ذا المآلْ

ومن أبرز الظواهر الفنية في هذه الأوزان تركيز الشاعر على البحر الطويل، واستخدامه فيما يزيد على ثلثي الشعر في هذا الموضوع وفي عدد ثمانية أعمال، منها ست قصائد هي على الترتيب: الأعمى والمجنون التائه والممثل والشاعر الصداح ووداع آدم للفردوس والإمام محمد عبده، ثم مقطوعتان هما: المغرور ويا أخي.

ولعل إقباله الشديد على هذا البحر، واستخدامه في معظم أعماله هنا مما يفسر أصالته واعتزازه بتراثه وتأثره الكبير بمحفوظاته الشعرية القديمة " فليس بين بحور الشعر ما يضارع البحر

الطويل في نسبة شيوعه، فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن" [١]

ب – أن القافية في هذا النوع من الشعر لدى السنوسي جاءت موحدة الروي إلا في قصيدتين فقط هما: الشاعر الصداح التي اعتمدت على نظام القافية المزدوجة التي يتفق فيها كل بيتين في الروي دون الأبيات الأخرى، ولذلك جاء متعددة الروي، والقصيدة الأخرى هي الحاسد التي اعتمدت في أبياتها السبعة على نظام القافية المرسلة التي يختلف فيها الروي من بيت لآخر مما أدى إلى التعدد والتنوع فيها أيضًا.

وقوافيه كلها مطلقة الروي محركة إلا قصيدة واحدة هي" إلى غليوم " التي جاءَت ساكنة الروى، ثم إن الروي في القصائد الموحدة كان من الحروف المشهورة التي استخدمها العرب كثيرًا لإقامة قوافيهم عليها، ومما يؤكد ذلك أنه استخدم الراء مرتين والميم مرتين وحروف: العين والهمزة والنون والياء والدال واللام مرة واحدة، وهي جميعًا مما استخدمها العرب بكثرة.[٢]

من خلال هذا العرض والتحليل للقافية في شعر النماذج البشرية لدى السنوسي يمكن أن نستخلص عدة حقائق منها ما يلي:

* أصالة الشاعر ومعاصرته في استخدام القوافي في هذا الشعر، وذلك يرد إلى تأثره الشديد برواد التجديد الثلاثة شكري والعقاد والمازني، فقد كانوا كذلك يؤثرون الأصالة كثيرًا في قوافيهم الشعرية، وهذا لم يمنعهم من الخروج إلى القوافي المزدوجة ، والشعر المرسل أيضًا منذ بداية القرن العشرين، وكان على رأسهم عبد الرحمن شكري. [٣]

* الدقة الفنية في استخدام قوافيه الموحدة التي تحتاج إلى ثروة لغوية ومعرفة بأهم شروط هذا

---

(١) د/ إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ص ٥٧ ط / الأنجلو المصرية رقم ٢ عام ١٩٥٢ م .

(٢) انظر أ / أحمد الشايب: اصول النقد الأدبي ص ٣٢٥ ط / النهضة المصرية رقم ١٠ عام ١٩٩٩ م .

(٣) انظر/ د. شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده ص ٤٧ ، ٤٨ ط / دار المعارف رقم ٢ عام ١٩٧٧م

الفن، وهذا واضح في أشعاره هنا، وإن كان قد وقع في بعض الهفوات مثل: الإيطاء في بعض القصائد، وهو إعادة كلمة القافية قبل مرور سبعة أبيات فأكثر، من ذلك قوله في قصيدة إلى غليوم: (د/ ص ١٢٨)

قل للأُلى غرهموا ملكهمو: الملك في الدنيا سريع الزوالْ

وبعد بيت واحد يقول: (د/ ص ١٢٩)

قوموا انظروا غليوم في أسره وقد تردى في مهاوي الزوالْ

فقد كرر- كما نرى- كلمة "الزوال" بلفظها ومعناها بعد بيت واحد فقط ، وهذا عيب وقع فيه الشاعر.

وقوله في قصيدة الأعمى: (د/ ص ٣٨)

وحدثتموني عن بدور وأنجم تالَّقُ في جيد الدجى وتنير

وبعد بيتين فقط في القصيدة يقول: (د/ ص ٣٩)

لخلتُ بأني ما عميتُ وإنني أكاد أرى وجه الحياة ينير

فهو قد كرر كلمة " تنير " أيضًا قبل الفصل بسبعة أبيات.

ثانيًا الموسيقى الداخلية: وهي تنبع من داخل النص الشعري، وترتبط ببنيته العميقة، ومن أهم أدواتها اللفظ الموحي والتصريع والتكرار وكثير من صور البديع مثل الطباق والجناس والمقابلة والتورية وسواها.

وقد وظف السنوسي كثيرًا من هذه الأدوات في شعر النماذج البشرية، بل في شعره كله؛ لتكون – بالإضافة إلى أدوارها البلاغية – عاملاً مهمًا في إثراء الجانب الموسيقي في الأعمال الشعرية؛ وذلك بما توحيه من النغم الذي يأتي عن طريق المماثلة أو الإعادة المنتظمة أو حسن التقسيم أو التضاد أو التوازي أو غيرها مما يبعث الإيقاع داخل الأبيات أو الأساليب الأدبية.

ومن الإيحاءات اللفظية التي استخدمها الشاعر كلمة "يطير" في قوله عن المغرور: [1]

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٣٢ .

يـرى نـفســـه فـوق الســـمـاء وإنـمـا يطير بـه فوق الســمـاءِ غـــــــــرورُ

فهي لا تفيد علو المغرور المتكبر فقط، وإنما تدل أيضًا على الشطط وبلوغ الغاية والسرعة وبيان الهيئة في الكبر، ومن ثم فهي كلمة ذات إيقاع خاص هنا.

ومن الإيحاءات كذلك كلمة " حمأة " في قول الشـاعر عن مصـير العالم بعدما فعله غليوم فيه:[1]

وأصـــبـح الـعـالـم في حَـمْـأةٍ يـجـولُ فـيـهـا الـمـوتُ أَيْـمَـا مـجـالْ

فالحمأة في الأصـل اللغوي هي القطعة من الطين الأسـود المنتن [2]، ولكنها توحي هنا أيضًـا بالخراب والدمار والقتل والحزن وغيرها من المعاني السـيئة التي لحقت العالم بما فعله غليوم فيه أثناء الحرب العالمية الأولى.

ومن التكرار في الألفاظ الذي يؤدي إلى المماثلة والإعادة المنتظمة قول الشـاعر عن الأعمى فيما يلي: [3]

وهـل يُشْـتَرى ذاك الضـيـاءُ فـأشـترى ضـــيـاءً يُـريـنـي الـكـونَ وهـو مـنـيـرُ

وقوله أيضـًا:

لَرُمْـتُ اجتلاءَ الشـمسِ وهي مضـيـئةٌ فـأرجـع والـطـرف الـحســيـر حســيـر

وقوله كذلك:

كـأن ظـلامَ الـعـيـنِ يشـتـدُّ كـلـمـا تـقضَّـــتْ شـــهـورٌ إثـرَهُـنَّ شـــهـورُ

فهو في هذه الأبيات كرر كلمات: يُشْتَرى والضياء والحسير وشهور، وتكرارها أضفى لونًا من الموسيقى على الأبيات في القصيدة؛ فضلاً عن التأكيد أو غيره من الأسرار البلاغية.

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١٢٨ .

(٢) انظر المعجم الوجيز مادة " حمأ "

(٣) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٣٨ ، ٣٩ .

ومن التكرار في الجمل قوله في الاتعاظ بمصير غليوم السيئ ما يلي: (١)

قوموا انظروا غليومَ في أسره ... مجردًا من تاجه ذي الجلالْ

قوموا انظروا غليومَ في أسره ... وقد تردى في مهاوي الزوالْ

تروا عُقَابًا قد هوى للثرى ... وتبصروا سُخر المنى بالرجالْ

فهو قد كرر صدر البيت الأول مرة أخرى في البيت الثاني مما أضفى على الأبيات نغمًا جميلاً، وموسيقية عذبة.

ومن تكرار الجمل أيضًا قوله في تعاليم الإمام محمد عبده: (٢)

فلم تزد الأفهام إلا حصافةً ... ولم تزد الأرواحَ إلا توقدا

فهو يكرر جملة " لم تزد " لإثراء الموسيقى داخل الأبيات وجذب المتلقين إليها، ثم لبيان تعدد الآثار الطيبة لآراء الإمام على الناس.

ومن صور الطباق قوله في مطلع قصيدة الأعمى: (٣)

أيشكو الورى مثلي عمىً يَسْترِقُّهم ... أم الناسُ منهم مبصرٌ وضريرُ

وقوله في الإمام محمد عبده:(٤)

لقد عاش يهدي الناس بالعلم والحِجى ... ويصلح بالإيمان ما الدهر أفسدا

ومات ولكن بعدما فرقت لنا ... تعاليمه بين الضلالة والهدى

فقد طابق الشاعر في بيته عن الأعمى بين كلمتي "مبصر وضرير" كما طابق في قوله عن الإمام بين " يصلح وأفسد " وبين " الضلالة والهدى " والطباق يقوم على التضاد في المعنى، والتضاد يؤدي إلى الموسيقى الداخلية في الشعر والأدب عمومًا.

---

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١٢٤.

(٣) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٣٨.

(٤) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١٢٤ .

وكذلك استخدم شاعرنا التصريع في بداية بعض قصائده، وهو يقوم على المشابهة بين تفعيلتي العروض والضرب في الوزن والحرف الأخير مما يسهم في إثراء الموسيقى في المطلع، من ذلك قوله في بداية قصيدته الممثل ما يلي: (١)

خبيرٌ بما تطوي النفوسُ وتكتمُ أميرٌ بلا تاجٍ ، شقيٌّ مُحَكّمُ

وقوله في بداية قصيدة إلى غليوم ما يلي: (٢)

غليوم ما عقبى الوغى والنضالْ لابد للمفتون من ذا المآلْ

فهو هنا قد صرع في البيت الأول بين " وتكتمُ " و " مُحَكَّمُ " ، وفي البيت الثاني بين " والنضالْ " و " ذا المآلْ " ، وقد أحدث ذلك نوعًا من الموسيقى في كلا المطلعين.

وقد يأتي التصريع في الوسط بالقصيدة أو قبيل نهايتها كما جاء في أواخر قصيدة غليوم المشار إليها آنفًا حينما قال: (٣)

في كل نفسٍ للأماني مثالْ وصورةٌ مرسومةٌ للكمالْ

فهو قد ألحق العروض بالضرب محدثًا التصريع على عكس ما فعله قبل ذلك في الأبيات التالية للمطلع، وقد أثرى بذلك الموسيقى في هذا البيت أيضًا.

وهكذا تعددت ألوان الموسيقى الشعرية لدى السنوسي في شعر النماذج البشرية، فهي خارجية تتمثل في الأوزان العمودية ثم القوافي التي تجمع بين الأصالة والتجديد في نهايات القصائد والمقطوعات، وكذلك داخلية تنبع من إيثاره لبعض الأدوات والأساليب الفنية والبديعية التي تعمل على إشاعة النغم والموسيقى داخل الأبيات مثل الألفاظ الموحية والتكرار والطباق والتصريع وغيرها، وهذا كله مما يؤكد على أصالته ورقي حسه الموسيقي، ثم تمكنه من أداته الفنية الشعرية، وأخيرًا التزامه بكل التقاليد التي جاء عليها شعرنا القديم، وكذلك المعاصر عند

(١) شعر عبد الحميد السنوسي ص ٨٠ .

(٢) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١٢٨ .

(٣) شعر عبد الحميد السنوسي ص ١٢٩ .

أعلام المجددين من أمثال شـــكري والعقاد والمازني الذين تأثر بهم، ومضـــى على منوالهم في التقاليد الشـــعرية، ومن أهمها الأوزان العمودية والقوافي ذات الروي الموحد أو المتعددة الروي التي تبدو في الشعر المرسل أو المزدوج أو الذي يقوم على نظام المقاطع المتتالية.

الخاتمـــة

من خلال ما سبق عرضه في هذا البحث توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج العامة يمكن بيانها على النحو التالي:

* أن النماذج البشرية من أهم الموضوعات التي تتناولها الآداب وفنونها المختلفة في كل اللغات، وهي تقوم على سرد القيم أو المثالب الإنسانية ممثلة في الشخصيات العامة التي يحرص الأديب على انتقائها وتصويرها تصويرًا أدبيًا رفيعًا مما يجعلها نماذج بشرية تمثل الإنسان المشابه أينما كان وفي أي زمان، ومن ثم فهو موضوع إنساني أو عالمي التناول.

* أن الشاعر عبد الحميد السنوسي واحد من الشعراء العرب المعاصرين الذين تناولوا هذا الموضوع في شعرهم الغنائي الذاتي؛ حيث خصص له أكثر من عشرة أعمال شعرية غنائية تجمع بين القصائد والمقطوعات، وتتناول النماذج البشرية تناولاً أدبيًا فنيًا يجعلها مثالاً لها في كل زمان ومكان.

* أن دوافعه إلى اختيار هذا الموضوع الشعري متعددة، منها النزعة الإنسانية والتأثر بالشعراء العرب الرواد الذين عالجوا هذا الموضوع من قبل مثل علي الجارم ومعروف الرصافي من المحافظين، ثم شكري والعقاد والمازني من المجددين، ومن العوامل كذلك توجيه المتلقين نحو بعض القيم أو صرفهم عن بعض المثالب ممثلة في هذه النماذج التي عالجها.

* أن النماذج البشرية لدى السنوسي تنوعت حسب المصدر الذي اعتمد عليه في استمدادها، فهناك النموذج الاجتماعي المأخوذ من الحياة الواقعية التي يعيشها البشر مثل المغرور والأعمى والممثل والشاعر والمقهور والحاسد والطموح، ثم النموذج الديني مثل سيدنا آدم عليه السلام والإمام محمد عبده، وأخيرًا النموذج التاريخي الممثل في شخصيتي نابليون وغليوم.

* أن أسلوبه في صياغة هذه النماذج كان أسلوبًا عربيًا جزلاً يقوم على الأصالة والوضوح في الألفاظ والتراكيب الشعرية، ثم إنه اعتمد على بعض الأدوات الفنية مثل السرد والحوار والمناجاة وغيرها من وسائل اللغة التي كانت تأتي مرة على لسان الشاعر الراوي أو على لسان النموذج الذي كان يتركه الشاعر لكي يتحدث عن نفسه.

* أن المعاني والأفكار في هذا الموضوع الشعري كانت سهلة واضحة ودائرة حول النماذج المعنية ورؤية الشاعر لها، كما كانت مترابطة ومختارة بدقة وعناية من الحياة الواقعية أو الدينية أو التاريخية، وتجمع بين الحقيقة والخيال الأدبي مما يرفع من الصياغة الشعرية فيها.

* أن الشاعر استعان بالصور والأخيلة القريبة الواضحة والقائمة في معظمها على الحس والواقع لتسهم مع المعاني والأفكار والحقائق في بناء الشخصيات والنماذج البشرية التي عالجها في قصائده، ثم لتساعد على تصورها لدى المتلقين أينما كانوا وفي أي زمان.

* أن الإيقاع الشعري الذي ورد عليه شعر النماذج البشرية لدى عبد الحميد السنوسي قائم في الأساس على الأوزان والقوافي الأصيلة التي ورد عليها شعرنا العربي القديم، والتزم به شعراؤنا المحافظون ثم المجددون الأول في أغلب أعمالهم في العصر الحديث، على أن ذلك لم يمنعه من التجديد في بعض القوافي التي وردت على نظام الشعر المزدوج أو المرسل... وهذا كله إن دل على شيء فإنما يدل على أصالة الشاعر ورقي حسه وتمكنه الفني الأصيل.

هذا وبالله التوفيق ومنه العون،،

الباحث

المصادر والمراجع

١- الأدب المقارن د. حسن جاد. ط/ دار المعلم للطباعة "القاهرة" رقم٣ عام ١٩٧٨ م.

٢- الأدب المقارن د. محمد غنيمي هلال / دار نهضة مصر "القاهرة" د.ت.

٣- الأدب وفنونه د. عز الدين إسماعيل ط/ دار الفكر العربي " القاهرة " رقم ٧ عام ١٩٧٨ م.

٤- أصول النقد الأدبي أ. أحمد الشايب ط/ النهضة المصرية "القاهرة" رقم ١٠ عام ١٩٩٩م.

٥- أصول النقد الأدبي د/ طه أبو كريشة ط/ الشركة المصرية العالمية للنشر "لونجمان" رقم ١ عام ١٩٩٦م .

٦- إنسانية القصيدة د. عادل نيل ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب رقم١ عام ٢٠١٩ م .

٧- تجديد الفكر الديني د. محمود حمدي زقزوق ط/ الأهرام" وزارة الأوقاف المصرية، سلسلة تجديد الفكر الإسلامي، عام ٢٠١٠م.

٨- تحت راية الإسلام د. نجيب الكيلاني ط / مؤسسة الرسالة "بيروت" رقم ٣ عام ١٩٨٤م.

٩- دراسات في الشعر العربي المعاصر د. شوقي ضيف ط / دار المعارف رقم ٨ عام ١٩٨٨م.

١٠- ديوان عبد الرحمن شكري الكامل. مؤسسة هنداوي "القاهرة" عام ٢٠١٤م .

١١- ديوان علي الجارم ط / دار الشروق "القاهرة" رقم ١ عام ١٩٨٦م.

١٢- الرؤية والأداة نجيب محفوظ د. عبد المحسن بدر ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠١٤م .

١٣- الرؤية والعبارة " مدخل إلى فهم الشعر " أ. عبد العزيز موافي ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة / ٢٠١٠م .

١٤- شعر الأستاذ عبد الحميد السنوسي ت أ/ محمد مفيد الشوباشي و أ/ مصطفى عبد

اللطيف السحرتي ط/ مطبعة مصر، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصرية عام ١٩٦٤م "سلسلة تراثنا".

١٥ - الشعر المعاصر على ضوء النقد الأدبي الحديث. أ/ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ط / مطبعة تهامة " جدة " رقم ٢ عام ١٩٨٤م .

١٦ - الصورة في شعر الديوانيين د/ محمد علي هدية. ط/ المطبعة الفنية (القاهرة) رقم ١ عام ١٩٨٤م .

١٧ - عبد الرحمن شكري شاعر الوجدان أ. يسري محمد سلامة ط/ المطابع الأميرية "القاهرة" عام ١٩٦٦م .

١٨ - العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق القيرواني ت. أ/ محمد محي الدين عبد الحميد ط/ دار الجيل "بيروت" د.ت .

١٩ - فصول في الشعر ونقده . د/ شوقي ضيف . ط/ دار المعارف رقم ٢ عام ١٩٧٧م .

٢٠ - فصول من النقد الأدبي وتاريخه د/ ضياء الصديقي و د/ عباس محجوب ط / دار الوفاء "المنصورة" عام ١٩٨٨م .

٢١ - في النقد الأدبي الحديث. د/ محمد صالح الشنطي ط / دار الأندلس "حائل" رقم ١ عام ١٩٩٩م .

٢٢ - القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى أ/ محمود تيمور ط / المطبعة النموذجية. نشر/ مكتبة الآداب د.ت .

٢٣ - مدارس النقد الأدبي الحديث. د/ محمد عبد المنعم خفاجي ط / الدار المصرية اللبنانية "القاهرة" رقم ١ عام ١٩٩٥م .

٢٤ – المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ت.أ/ محمد سيد كيلاني، ط/ دار المعرفة "بيروت" د. ت.

٢٥ – مقتطفات من تاريخ العالم أ/ جمال الكاشف ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب "مكتبة الأسرة" الأعمال الخاصة عام/ ٢٠٠٣م.

٢٦ – موسيقى الشعر د/ إبراهيم أنيس ط / مطبعة الأنجلو المصرية "القاهرة" رقم ٢ عام ١٩٥٢م .

٢٧ – نظرية الشعر في النقد العربي القديم د/ عبد الفتاح عثمان ط/ دار الثقافة العربية " القاهرة " عام ١٩٩١م .

المواقع والمقالات

٢٨ – موقع بوابة الشعراء الإلكتروني.

٢٩ – موقع المعرفة الإلكتروني.

٣٠ – موقع ويكيبيديا الإلكتروني.

٣١ – منشور د.محمد العنتبلي: الرؤية...الرؤيا "الشبكة العنكبوتية".

فهرس البحث

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	**المقدمة**	٣٥٣١
٢	**التمهيد** :	٣٥٣٣
٣	أولاً: نبذة عن حياة الشاعر وشعره	٣٥٣٣
٤	ثانيًا: النماذج البشرية في الأدب	٣٥٣٦
٥	**الفصل الأول: " الرؤية الموضوعية ":**	٣٥٤٠
٦	مفهوم الرؤية الأدبية	٣٥٤٠
٧	بواعث شعر النماذج البشرية	٣٥٤٢
٨	التشكيل الموضوعي للنماذج البشرية:	٣٥٤٤
٩	النموذج الاجتماعي العام	٣٥٤٤
١٠	النموذج الديني	٣٥٥١
١١	النموذج التاريخي	٣٥٥٥
١٢	**الفصل الثاني " التشكيل الفني "**	٣٥٦١
١٣	اللغة والأسلوب	٣٥٦١
١٤	المعاني والأفكار	٣٥٦٦
١٥	الصورة والخيال	٣٥٧٢
١٦	الوزن والموسيقى	٣٥٧٦
١٧	**الخاتمة والنتائج**	٣٥٨٥
١٨	**المصادر والمراجع**	٣٥٨٧
١٩	**الفهرس**	٣٥٩٠